

دراسات في القرآن وتفسيره

الجزء الأول

أ.د. بدر بن ناصر البدر

الأستاذ بقسم القرآن وعلومه - كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار احضارة للنشر والتوزيع

ح دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

البدر، بدر ناصر

دراسات في القرآن وتفسيره (الجزء الأول) / بدر ناصر البدر - الرياض ١٤٣١هـ

ص ٠٠ : سم

ردمك: ٩ - ٨٩٠ - ٥١ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١- الوقف ٢- القرآن - مباحث عامة ٣- العنوان

ديوي ٢٥٣.٩٠٢ ١٤٣١/٩٥٣٧

رقم الإيداع: ١٤٣١/٩٥٣٧هـ

ردمك: ٩ - ٨٩٠ - ٥١ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

دار الحضارة للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥

هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤

المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨



من أسرار الحروف في القرآن الكريم^(١)

«الباء – اللام»

(١) بحث محكم منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: «٢٩»، سنة



المقدمة

الحمد لله رب العالمين إله الأولين والآخرين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد الأمين المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد:

فإن من نعمة الله على عباده أن أرسل إليهم أفضل رسله، وأنزل عليهم خير كتبه القرآن الكريم، نوراً يهدي به وطريقاً يسار عليه، هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم، لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي فوائده، لا تشبع منه العلماء ولا يخلق من كثرة الترداد، متى تمسكت به الأمة أفراداً وشعوباً، عزوا وانتصروا، وكانت لهم السيادة والسعادة في الدنيا والآخرة، وإن كانت الأخرى - والعياذ بالله - ذلوا وخابوا، وكانت لهم التعاسة والشقاوة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (١٣) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٤) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (١٥) (١).

ولقد أكب الناس عامة والعلماء خاصة على هذا الكتاب، ينهلون من معينه الذي لا ينضب، ويستقون من هداياته التي لا

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤-١٢٦.

تكرها الدلاء، فقامت الدراسات المتنوعة لخدمة القرآن الكريم، وبذلت الجهود المشكورة من لدن السلف والخلف تأليفاً وتصنيفاً وتدرisاً من أجل القرآن الكريم، في نواح مختلفة وفنون متباينة ومشارب متنوعة.

ومن ذلك خدمته من حيث الأمور اللغوية والنكات البلاغية واللطائف البيانية، اعتماداً على لغة العرب، وما كتبه النحويون الأوائل من قواعد وأصول ينضبط بها اللسان، ويعتصم بها من العجمة واللحن.

فكانت عناية المفسرين وغيرهم بهذه المسائل كبيرة، وانصبت جهودهم في هذا المجال، حتى كانت السمة العامة والوصف الأغلب لكتبهم وتصانيفهم دراسة هذه الجوانب.

لذا أحببت أن أنتظم في سلك هذه الدراسات، وأبذل جهدي في خدمة كتاب ربنا جل وعلا فكان اختياري «من أسرار الحروف في القرآن الكريم»، واخترت من هذه الحروف الباء واللام. وسبب اختياري هذا الموضوع يرجع إلى أمور، أهمها:

١- الارتباط بالقرآن الكريم والوقوف على معانيه من خلال هذه الدراسة.

٢- الوقوف على ما كتبه الأوائل ومن بعدهم في هذا الموضوع، وهو تراث ثري ضخم.



٢- كثيراً ما كنت أتوقف عند بعض الآيات التي تارة تعدى فيها الفعل بحرف، وتارة بحرف آخر، وربما بحرف ثالث، فكانت هذه الدراسة خير معين في معرفة ذلك والكشف عن أسرارهِ ولطائفهِ.

٤- أن معرفة هذه اللطائف البيانية والنكات البلاغية لها أثرها في نفس القارئ مما تعجز العبارة عن وصفه.

٥- فهم بعض نواحي العظمة في كتاب الله عز وجل من حيث بيانه المعجز وأسلوبه الذي تحدّى الله به العرب أرباب الفصاحة والبلاغة.

ولقد أملت طبيعةُ البحث أن تكون موضوعاته كالآتي:

- مقدمة.
- تمهيد: أهمية معرفة اللغة العربية في فهم القرآن الكريم.
- الفصل الأول: الباء معانيها ودلالاتها في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: الدراسة النظرية.
- المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية.
- الفصل الثاني: اللام ودلالاتها في القرآن الكريم، وفيه مبحثان:



- المبحث الأول: الدراسة النظرية.
 - المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية.
 - الخاتمة.
 - ثبت المصادر والمراجع.
- وقد سرت في هذا البحث حسب المنهج الآتي:
- كتبت الآيات القرآنية المراد دراستها كاملة إن لم تكن طويلة، معزوة إلى مواضعها في القرآن الكريم.
 - خرّجت الأحاديث النبوية.
 - عزوت الأبيات الشعرية إلى قائلها من دواوينهم أو من الكتب المتقدمة.
 - ترجمت لكل علم بترجمة موجزة، وتركت الأعلام المشهورين دون ترجمة.
 - اعتمدت على كتب التفسير وما ألف في دراسة هذا الموضوع موثقاً أقوال أصحابها.
 - بذلت جهدي في ترتيب الأقوال حسب وفيات أصحابها.
 - أخرت ذكر طبعة أي كتاب وناشره وتاريخ ذلك إلى ثبت المصادر والمراجع؛ خشية أن تطول الحواشي.
 - في التمهيد اقتصرت على ما يخدم هذا البحث، وإلا فقد بقي الكثير. وقد جزأت الكلام فيه إلى عناوين مفردة؛ كي يسهل استجماع الذهن لها، والإحاطة بالفكرة التي تثبتها.



- في الدراسة النظرية اكتفيت بأشهر معاني الحروف «الباء - اللام»، وبخاصة ما كثر وروده في القرآن الكريم، وسيكون له استشهاد في الدراسة التطبيقية، محيلاً ما تبقى من هذه المعاني إلى كتبها لمن أراد التوسع في ذلك.
 - في الدراسة التطبيقية اخترت مواضع من القرآن الكريم مما وردت فيه الباء واللام، ذاكراً أقوال المفسرين والعلماء بعامة فيها، مستقصياً - حسب الطاقة - ما قيل فيها مما يخدم البحث من المتقدمين والمتأخرين.
 - اخترت ما رأيت الراجح - لدي - مدعماً ذلك بالأدلة أو التعليل.
 - عملت موازنة بين هذه الآيات وما يماثلها في القرآن الكريم، وذلك فيما تغيرت فيه تعدية الفعل في تلك المواضع، وسر اختيار هذا الحرف دون غيره، مبرزاً الدلالات البيانية واللطائف البلاغية بدقة وجلاء.
 - حرصت على الاختصار غير المخل الذي يفى بالغرض.
- وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





تمهيد:

أولاً: أهمية معرفة اللغة العربية في فهم القرآن الكريم

أنزل الله القرآن الكريم معجزة للنبي ﷺ باقية إلى يوم القيامة، بلسان عربي مبين. وقد بين النبي ﷺ أن معجزته العظيمة الظاهرة هي القرآن، وأنه بهذا القرآن يكون أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «ما من الأنبياء نبي إلا وأعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم^(١)، قال الحافظ ابن حجر^(٢) - رحمه الله: «أي: إن معجزتي التي تحدث بها الوحي الذي أنزل علي وهو القرآن، لما اشتمل عليه من الإعجاز الواضح .. وقد جمع بعضهم إعجاز القرآن: في أربعة أشياء:

(١) صحيح البخاري مع الفتح - كتاب فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحي وأول ما

نزل ٣/٩، وصحيح مسلم بشرح النووي - كتاب الإيمان ١٨٧/٢.

(٢) أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ وبها نشأ، شافعي

المذهب، من أئمة الحديث والرجال والفقه، توفي بمصر سنة ٨٥٢هـ، زادت تصانيفه

على مائة وخمسين مصنفاً، منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز

أسماء الصحابة، تهذيب، التهذيب تقريب التهذيب، وغيرها. ينظر الضوء اللامع

٣٦/٢، البدر الطالع ٨٧/١، شذرات الذهب ٢٧٠/٧.

- ١- حسن تأليفه والتثام كلمه مع الإيجاز والبلاغة.
 - ٢- صورة سياقه وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظماً ونثراً، حتى حارت فيه عقولهم، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك، وتقريعه لهم على العجز عنه.
 - ٣- ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم الماضية والشرائع الدائرة.
 - ٤- الإخبار بما سيأتي من الكوائن التي وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها بعده ..»^(١).
- إذن من الوفاء لهذه اللغة أن نعرف لها قدرها ومكانتها، فلا نرتضي بها بدلاً مهما زين ذلك المفرضون ومهما كاد لها الكائدون، ولا يكفي هذا بل لا بد من العلم بها ومعرفتها ودراستها من جميع النواحي، تصريفاً ونحواً وبياناً، وعلى قدر المعرفة بلغة العرب، تكون المعرفة بفضل القرآن وعلو شأنه.

(١) فتح الباري ٦/٩-٧.



يقول ابن النقيب^(١): «وإنما يعرف فضل القرآن من عرف كلام العرب، فعرف علم اللغة وعلم العربية وعلم البيان، ونظر في أشعار العرب وخطبها ومقاولاتها في مواطن افتخارها، ورسائلها وأراجيزها وأسجاعها، فعلم منها تلوين الخطاب ومعدوله، وفنون البلاغة وضروب الفصاحة، وأجناس التجنيس وبدائع البديع، ومحاسن الحكم والأمثال.

فإذا علم ذلك ونظر في هذا الكتاب العزيز، ورأى ما أودعه الله سبحانه فيه من البلاغة والفصاحة وفنون البيان، فقد أوتي فيه العجب العجيب، والقول الفصل اللباب، والبلاغة الناصعة التي تحير الألباب وتُغلق دونها الأبواب.. ولذلك يقع في النفوس عند تلاوته وسماعه من الروعة ما يملأ القلوب هيبة والنفوس خشية، وتستلذه الأسماع وتميل إليه بالحنين الطباع»^(٢).

ولا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن العظيم والوقوف على ذلك إلا عن طريق معرفة لغة العرب، ومن لم تكن له بذلك دراية وعلم، لم يظفر من معرفة هذه البلاغة والفصاحة والوقوف على أسرارها بشيء.

(١) هو جمال الدين محمد بن سليمان المقدسي المشهور بابن النقيب، إمام في التفسير والفقه، توفي سنة ٦٩٨هـ، له تفسير القرآن في مجلدات كثيرة، قيل بلغت خمسين وقيل ثمانين، وله مقدمة له مطبوعة، ينظر: شذرات الذهب ٤٤٢/٥، فوات الوفيات ٢/٢١٥، حسن المحاضرة ١/٢٦٦.

(٢) مقدمة تفسير ابن النقيب، ص ١٢.

قال القاضي الباقلاني ^(١): «والعربية أشدها - أي اللغات - تمكناً وأشرفها وأعدلها، ولذلك جعلت حلية لنظم القرآن، وعلق بها الإعجاز» ^(٢).

ومن أقوال السلف في أهمية تعلم اللغة العربية لفهم كلام الله عز وجل: قول يحيى بن عتيق ^(٣): «سألت الحسن البصري فقلت: يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس حسن المنطق ويقيم بها قراءته، فقال حسن: يا بني فتعلمها، فإن الرجل قد يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك» ^(٤).

وقد أوجب الشافعي ^(٥) تعلم العربية وجعله فرضاً، حيث قال:

(١) هو أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني، ولد سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ. له: تهيد الأوائل، ومناقب الأئمة، وإعجاز القرآن وغيرها، ينظر: وفيات الأعيان ٢٦٩/٤، النجوم الزاهرة ٢٣٤/٤، شذرات الذهب ١٦٩/٣.

(٢) إعجاز القرآن: ١٧١.

(٣) يحيى بن عتيق الضفاوي البصري روى عن ابن سيرين ومجاهد، وروى عنه الحمادان وعبد العزيز بن المختار، كان ورعاً متقناً، ينظر: تهذيب التهذيب ٢٥٥/١١.

(٤) ينظر: الصعقة الغضبية ٢٤٨، فضائل القرآن لأبي عبيد ٢٨١، معجم الأدباء ٨٣/١ - الإتيقان: ١٨١/١.

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، أحد أئمة المذاهب الأربعة. ولد بفلسطين سنة ١٥٠هـ، ثم تنقل في كثير من البلدان، حتى توفي بمصر سنة ٢٠٤هـ، له: الأم، والرسالة، والمسنند، في الحديث. ينظر: «تاريخ بغداد» ٦٥/٢، وفيات الأعيان ٣٦١/٤، سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٥.



«فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله ... وما ازداد من العلم باللسان الذي جعله الله لسان من ختم به نبوته، وأنزل به آخر كتبه، كان خيراً له»^(١).

أما أقوال شيخ الإسلام^(٢) في هذا الموضوع فكثيرة جداً، فهو يرى ضرورة تعلم اللغة وفهمها والتحدث بها، قال - رحمه الله: «كان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن، فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائلة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة، والاقتداء بالعرب في خطابها. فلو ترك الناس على لحنهم، كان نقصاً وعيباً»^(٣).

وصرح في موضع آخر بوجوب تعلمها وجعلها فرضاً، حيث قال: «إن نفس اللغة من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية. وما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب»^(٤).

(١) الرسالة، ٤١.

(٢) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المتوفى سنة ٧٢٨ هـ له: منهاج السنة، نقض التأسيس، التدمرية وغير ذلك. ينظر: الدرر لكامنة ١/ ١٤٤، البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥.

(٣) مجموع الفتاوى ٣٢/ ٢٥٢.

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٠٧.

وكلما كانت معرفة المسلم بألفاظ الكتاب والسنة تامة، كان فهمه لمراد الكتاب والسنة تاماً، وعلى العكس يكون الخلل في فهم المصطلحات والأحكام، والوقوع في تحريف الكلم عن مواضعه، قال - رحمه الله: «ومن لم يعرف لغة الصحابة التي كانوا يتخاطبون بها ويخاطبهم بها النبي ﷺ، وعاداتهم في الكلام، وإلا حرّف الكلم عن مواضعه»^(١).





ثانياً: أهمية معرفة اللغة العربية للمفسر

نزل القرآن الكريم بلغة العرب، فوجب معرفتها وفقه ما فيها؛ حتى يتم فهم كتاب الله وتفسيره، واستظهار الأحكام والمسائل منه، وذلك لا يتم إلا بإدراك معاني الآيات الكريمة، قال الزركشي^(١) : «واعلم أنه ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله، ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركاً وهو يعلم أحد المعنيين، والمراد المعنى الآخر»^(٢).

ولهذا السبب يقول الإمام مالك^(٣) - رحمه الله: «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا»^(٤).

(١) هو بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي الشافعي. ولد بمصر سنة ٧٤٥هـ، ورحل إلى دمشق، ثم رجع إلى مصر، وبها توفي سنة ٧٩٤هـ. له: البحر في أصول الفقه، والبرهان في علوم القرآن. ينظر: الدرر الكامنة ٣/٣٩٧، شذرات الذهب ٦/٢٣٥.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١/٢٩٥.

(٣) هو مالك بن أنس المدني أحد أئمة المذاهب الأربعة، من المحدثين الفقهاء. توفي سنة ١٧٩هـ. له: الموطأ، ورسالة إلى الرشيد. ينظر: «وفيات الأعيان» ٤/١٣٥، تهذيب التهذيب ١٠/٥، حلية الأولياء ٦/٣١٦، تهذيب الأسماء واللغات ٢/٧٥.

(٤) ينظر الإتيقان ٢/١٩٧. معنى نكالا: أي صنع به صنيعاً يحذر به غيره، القاموس «نكل» ٤/٦٠.



وقال شيخ الإسلام: «لا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه فمعرفة العربية التي خوطبنا بها مما يعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني»^(١).

وقد حرص العلماء قديماً على التأليف في غريب القرآن ومعانيه وإعرابه، مما يدل على أهمية اللغة العربية في فهم كتاب الله عز وجل، بل إن بعض هذه الكتب تسمى بـ«معاني القرآن»، مما يوحي بأهمية الإعراب في فهم المعاني، كمعاني القرآن للفراء^(٢)، ومعاني القرآن للأخفش^(٣)، وغير ذلك، لذا فقد عد صاحب كشف الظنون «إعراب القرآن» علماً من فروع علم التفسير^(٤).

(١) الإيمان ١١١.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، سمي بالفراء؛ لأنه يفري الكلام. ولد سنة ١٤٤هـ، إمام الكوفة في النحو، وقد أخذه عن الكسائي. أكثر مقامه ببغداد، وبها توفي سنة ٢٠٧هـ. له: معاني القرآن، واللغات، والنوادر. ينظر: «أنباء الرواة ٧/٤»، معجم الأدباء ٩/٢٠، بغية الوعاة ٣٣٣/٢، شذرات الذهب ١٩/٢.

(٣) هو سعيد بن مسعدة الجاشعي بالولاء، سكن البصرة، وقرأ النحو على سيبويه. ثم دخل بغداد وأقام بها، وبها توفي سنة ٢١٥هـ. له: معاني القرآن، والاشتقاق، والمسائل، وغيرها. ينظر: «وفيات الأعيان ٣٨٠/٢»، إنباء الرواة ٣٦/٢، بغية الوعاة ٩٥٠/١.

(٤) ١٢١/١-١٢٢.



وقد أفاد من ذلك المفسرون في كتبهم، وانتقد بعضهم مواضع على من لم يكن لهم باع في العربية، وشددوا عليهم النكير في بعضها، أذكر لذلك أمثلة مما جاء في البحر المحيط من انتقادات أبي حيان ^(١) - رحمه الله - غيره ممن تكلموا في تفسير بعض الآيات عن غير علم بالعربية، فوقع منهم الخطأ والزلل في تفسيرها، فذمهم ولامهم على هذا الصنيع، ومن ذلك:

قوله في ابن عطية ^(٢): «هذا قول من شدا يسيراً في علم العربية، ولم يرسخ قدمه فيها» ^(٣).

وعاب تقدير الأخفش وأبي علي الفارسي ^(٤) بقوله: «وتقادير أبي علي والأخفش فيها تفكيك للكلام، وسلوك به غير ما تقتضيه

(١) هو محمد بن يوسف الأندلسي، إمام في النحو والتفسير والقراءات. رحل في طلب العلم، حتى انتهى به المقام في مصر، وبها توفي سنة ٧٤٩هـ. له: البحر المحيط، والتذيل والتكميل، وتذكرة النحاة، وغيرها. ينظر: «طبقات الشافعية الكبرى ٢٧٦/٩، الوافي بالوفيات ٢٦٧/٥، نفح الطيب ٥٣٥/٢، بغية الوعاة ٢٨٠/١».

(٢) هو عبدالحق بن غالب بن عطية المالكي، من علماء التفسير واللغة والنحو. رحل إلى المشرق، وتوفي سنة ٥٤١هـ. له: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، وغيره. ينظر: «نفح الطيب ٥٩٣/١، بغية الوعاة ٧٣/٢، فهرس الفهارس ٢٣٤/٢».

(٣) ينظر البحر المحيط: ٢٢٨/٤.

(٤) هو أبو علي الحسين بن أحمد الفارسي، تنقل في طلب العلم، من شيوخ المعتزلة. توفي سنة ٣٧٧هـ. له: الإيضاح العضدي، والمسائل البصريات والبغداديات، والحجة للقراء السبعة، ينظر: «إنباه الرواة ٢٣٧/١، سير أعلام النبلاء ٣٧٩/١٦، بغية الوعاة ٤٩٦/١».

الفصاحة، وهي تقادير أعجمية بعيدة عن البلاغة، لا تناسب في كتاب الله، بل لو قدرت في شعر الشنفرى ما ناسب، والنحاة الصنف غير الأدباء بمعزل عن إدراك الفصاحة»^(١).

ويرى أن الزمخشري^(٢) بعجمته وعدم معرفته باللغة، لا يستطيع الإفصاح عن المعاني، وقد يفكك كلاماً مرتبطاً بعضه ببعض؛ لسوء فهمه الأعجمي^(٣)، وهذا محل نقاش.

ويشتد نكيره على من فسر آية وهو لا يعلم من العربية شيئاً، فيقول: «هو قول من اجتراً على كتاب الله بغير علم»^(٤).

ونجده يصرف نظره عن أقوال ابن الحاجب؛ لأنه ليس ذا منزلة رفيعة في النحو، فلم يذكر أقواله في تفسيره^(٥).

وهنا أمر يجب التنبيه عليه، وهو أنه ليس المقصود من تعلم العربية الاقتصار على حفظ قواعدها ومتونها، ومعرفة الصواب والخطأ في اللفظ، وإن كانت هذه الأمور محل عناية، لكن

(١) البحر المحيط: ٢٩١/٤.

(٢) هو جار الله عمود بن عمر الزمخشري، رحل إلى بخارى وبغداد ثم أقام بمكة، توفي سنة ٥٣٨هـ، له: الكشف، الفائق في غريب الحديث، الفصل. ينظر: معجم الأدباء ١٢٦/١٩، النجوم الزاهرة: ٢٤٧/٥، بغية الوعاة ٢٧٩/٢.

(٣) البحر المحيط ٧١/٢، ٢٠٦/٨.

(٤) البحر المحيط ٦٣/٤.

(٥) البحر المحيط: ٢٦٨/٥.



المقصود من تعلم اللغة العربية التأمل فيها وفهم أسرارها ، ومعرفة معاني كتاب الله عز وجل ، وقد نبه على هذا الأمر الزجاجي ^(١) بقوله: «فإن قيل: فما الفائدة في تعلم النحو؟ فالجواب في ذلك أن يقال له: الفائدة فيه الوصول إلى التكلم بكلام العرب على الحقيقة، صواباً غير مبدل ولا مغير، وتقويم كتاب الله عز وجل الذي هو أصل الدين والدنيا والمعتمد، ومعرفة أخبار النبي ﷺ، وإقامة معانيها على الحقيقة؛ لأنه لا تفهم معانيها على صحة إلا بتوفيتها حقوقها من الإعراب» ^(٢).

ويقول أبو حيان: «وتبين أن علم التفسير ليس متوقفاً على علم النحو فقط، كما يظنه بعض الناس، بل أكثر أئمة العربية هم بمعزل عن التصرف في الفصاحة، والتفنن في البلاغة، ولذلك قلت تصانيفهم في علم التفسير، وقل أن ترى نحويّاً بارعاً في النظم والنثر، كما قل أن ترى بارعاً في الفصاحة يتوغل في علم النحو» ^(٣).

وقال في موضع آخر: «ومع ذلك فاعلم أنه لا يرتقى من علم

(١) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، شيخ العربية في عصره. نشأ ببغداد، وتوفي بطبرية سنة ٣٣٩هـ. له: الجمل في النحو، والإيضاح في علل النحو، واللامات، وحروف المعاني. ينظر: «إنباه الرواة ٢/ ١٦٠، بغية الوعاة ٧٧/ ٢، شذرات الذهب ٢/ ٣٥٧».

(٢) الإيضاح في علل النحو ٩٥، وقد عقد باباً لهذه المسألة.

(٣) البحر المحيط ٩/ ١.



التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته إلا من كان متبحراً في علم اللسان، مترقياً منه إلى رتبة الإحسان، قد جبل طبعه على إنشاء النثر والنظم دون اكتساب، وإبداء ما اخترعته فكرته السليمة في أبدع صورة وأجمل جلاباب ... يدرك إعجاز القرآن بالوجدان لا بالتقليد، وينفتح له ما استغلق؛ إذ بيده الإقليد، وأما من اقتصر على غير هذا من العلوم، أو قصر في إنشاء المنثور والمنظوم، فإنه بمعزل عن فهم غوامض الكتاب، وعن إدراك ما تضمنه من العجب العجائب. وحظه من علم التفسير إنما هو نقل أسطوار، وتكرار محفوظ على مر الأعصار»^(١).

ولعلمي البيان والمعاني مزيد اختصاص بعلم التفسير؛ لأنهما وسيلة لإظهار خصائص البلاغة القرآنية، وما تشتمل عليه الآيات من تفاصيل المعاني، وإظهار وجه الإعجاز، قال الزمخشري: «علم التفسير الذي لا يتم تعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم .. فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن برز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية^(٢) أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ، والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن

(١) البحر المحيط ٧/١.

(٢) أحد فصحاء العرب، اسمه أيوب والقرية اسم أمه، كان من الحفاظ، قتله الحجاج. ينظر

حاشية الإنصاف على الكشف ١٦/١.



علك اللغات بقوة لحياه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يفوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما: علما البيان والمعاني»^(١).

وقال أيضاً: «وكم من آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة؛ لأن من تأول ليس من هذا العلم في غير ولا نفير، ولا يعرف قبلاً منه من دبير»^(٢).

وقال السكاكي^(٣) مؤكداً ضرورة دراسة علمي البيان والمعاني لفهم كلام الله: «وفيما ذكرنا ما ينبه على أن الواقف على تمام مراد الحكيم تعالى وتقدس من كلامه مفتقر إلى هذين العلمين - المعاني والبيان - كل الافتقار، فالويل كل الويل لمن تعاطى التفسير وهو فيهما راجل»^(٤).

وقال أيضاً: «لا أعلم في باب التفسير بعد علم الأصول أقرأ منهما على المرء لمراد الله تعالى من كلامه من علمي المعاني والبيان، ولا أعون على تعاطي تأويل مشتبهاته، ولا أنفع في درك لطائف نكته وأسراره، ولا أكشف للقناع عن وجه إعجازه .. ولكم آية من آيات

(١) الكشف ١٥/١-١٦.

(٢) الكشف ٤٠٩/٣.

(٣) هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي الخوارزمي، عالم في النحو والمعاني والبيان. توفي بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ. له: مفتاح العلوم. ينظر: الجواهر المضية ٢٢٥، بغية الرعاة ٢/٣٦٤.

(٤) المفتاح ١٦٢.

القرآن تراها قد ضيقت حقها، واستلبت ماءها ورونقها أن وقعت إلى من ليسوا من أهل هذا العلم، فأخذوا بها في مآخذ مردودة، وحملوها على محامل غير مقصودة»^(١).

ومن علوم اللغة التي تجب العناية بها ودراستها حروف المعاني وتَفْهَمُ دلالاتها ونكاتها البلاغية، وقد كانت عناية العلماء بهذا الموضوع بالغة، فألفوا في ذلك الكتب التي يظهر فيها بذل الجهد في الدراسة والبحث والدقة في إبراز معانيها وتجليه مقاصدها وأغراضها، فدالات النظم وأسراره متوقفة على إدراك مرامي الحروف واستجلاء معانيها وأسرارها، يقول المرادي^(٢) في مقدمة كتابه الجنى الداني: «فإنه لما كانت مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنياً أكثرها على معاني حروفه، صرفت الهمم إلى تحصيلها، ومعرفة جملتها وتفصيلها، وهي مع قلتها وتيسر الوقوف على جملتها، قد كثر دورها وبعد غورها، فعزت على الأذهان معانيها، وأبت الإذعان إلا لمن يعانيها»^(٣).



(١) المفتاح ٤٢١.

(٢) المرادي: أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبدالله المرادي، ولد بمصر وإقامته بالمغرب ثم رجع إلى مصر وبها توفي سنة ٧٤٩هـ. من أئمة اللغة والنحو، له: شرح على ألفية ابن مالك، الجنى الداني، وغيرهما. ينظر: الدرر الكامنة ٢/ ٣٢، غاية النهاية ١/ ٢٢٧، بغية الوعاة ١/ ٥١٧.

(٣) الجنى الداني، ص ١.



الفصل الأول:

«الباء» معانيها ودلالاتها في القرآن الكريم



المبحث الأول:

الدراسة النظرية

الباء من الحروف المختصة بالاسم الملازمة له تعمل فيه الجر،
ولها معانٍ كثيرة هي:

أولاً: الإلصاق، وهو أصل معانيها، ولم يذكر لها سيبويه^(١)
غيره، قال - رحمه الله: «وباء الجر إنما هي للإلصاق
والاختلاط». ثم قال: «فما اتسع من هذا في الكلام، فهذا
أصله»^(٢).

وقد رد كثير من المحققين^(٣) سائر معاني الباء إلى معنى
الإلصاق كما ذكر سيبويه، وجعلوه معنى لا يفارقها، واستبعد
بعضهم ذلك، وقال: الصحيح التنويع.

(١) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، إمام النحويين، تلميذ الخليل بن أحمد وشيخ
الأخفش. توفي سنة ١٨٠هـ. له: الكتاب. ينظر: «وفيات الأعيان ٣/٤٦٣»، أنباه الرواة
٣٤٦/٢، بغية الوعاة ١/٢٢٩.

(٢) الكتاب: ٢١٧/٤.

(٣) ينظر: الجنى الداني ١٠٨، رصف المباني ٢٢٢.

والإصاق ضربان:

(أ) حقيقي، مثل: أمسكت الحبل بيدي، قال ابن جني^(١) :
«وإذا قلت: أمسكت بالحبل، فقد نابت الباء عن قولك
«أمسكته» مباشراً له وملاصقاً يدي له»^(٢) .

(ب) مجازي، مثل: مررت بزيد، قال الزمخشري: «المعنى التصق
مروري بموضع يقرب منه»^(٣) . وقد جعله بعضهم بمعنى
«على»^(٤) .

ثانياً: التعدية: وهي القائمة مقام الهمزة في إيصال معنى الفعل
اللازم إلى المفعول به، مثل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُورِهِمْ﴾^(٥) ،
﴿لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾^(٦) . ويؤيد أن باء التعدية بمعنى الهمزة قراءة^(٧)
«..أذهب الله نورهم ...» .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، إمام في الفقه والنحو والأدب، تلميذ أبي علي
الفارسي، كان معتزلياً، وتوفي سنة ٣٩٢، له: الخصائص، اللمع، المحتسب وغيرها.
ينظر: وفيات الأعيان ٢٤٦/٣، إنباء الرواة ٣٣٥/٢، بغية الوعاة: ١٣٢/٢.

(٢) الخصائص ٢٧١/٢.

(٣) الفصل ٢٨٥.

(٤) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك ١٥٢/٣، مغني اللبيب ١/١٠١، الجني الداني ١٠٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٠.

(٧) هي قراءة محمد بن عبد الرحمن بن السميع اليمني، ينظر: البحر المحيط: ٨٠/١.



ثالثاً: الاستعانة ^(١) ، وهي الداخلة على آلة الفعل، مثل: كتبت بالقلم، ضربت بالسيف. ومنه في أشهر الوجهين ^(٢) : بسم الله الرحمن الرحيم.

رابعاً: التعليل، قال ابن مالك ^(٣) : «هي التي تصلح غالباً في موضعها اللام» ^(٤) .

كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ ^(٥) .
 وقوله تعالى: ﴿فَيُظْلِمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَهُمْ﴾ ^(٦) ،
 وقوله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُبِهِ﴾ ^(٧) . وبعض النحويين ^(٨) يجعلون هذا المعنى داخلاً في السببية؛ لأن التعليل والسبب عندهم واحد.

(١) ينظر: المقتضب ٣٩/١.

(٢) والوجه الثاني في باء البسمة أن تكون للمصاحبة. ينظر: الكشاف ٣/١-٤، التصريح ١٢/٢.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن مالك الطائي النحوي. ولد سنة ٦٠٠ هـ ببيان، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢ هـ. إمام في النحو. له: التسهيل وشرحه، وشرح الكافية، والألفية. ينظر: «الوافي بالوفيات ٣/٣٥٩، طبقات الشافعية الكبرى ٨/٦٧، بغية الوعاة ١/١٣٠».

(٤) ينظر: شرح التسهيل ٣/١٥٠.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٦٠.

(٧) سورة العنكبوت، الآية: ١٦٠.

(٨) ينظر: الجنى الداني: ١٠٤، رصف المباني: ٢٢٢.



خامساً: المصاحبة، ولها علامتان ^(١):

إحداهما: أن يحسن في موضعها «مع».

الثانية: أن تغني عنها وعن مجرورها الحال، كقوله تعالى: ﴿قَدْ

جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ ^(٢) أي: مع الحق، أو محققاً.

وقوله تعالى: ﴿يَنْبُؤُحَ أَهْبِطِ بِسَلَامٍ﴾ ^(٣)، أي: مع سلام،

أو مسلماً عليك. ولصلاحية وقوع الحال موقعها سماها

كثير ^(٤) من النحويين «باء الحال».

سادساً: الظرفية، وعلامتها أن يحسن في موضعها «في»، كقوله

تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ﴾ ^(٥)، وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَكْفُرُوا لَهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصِيبَاتٌ ۖ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿١٣٨﴾﴾ ^(٦).

سابعاً: المجاوزة، وعبر بعضهم عن هذا بموافقة «عن»، وذلك

كثير بعد السؤال، مثل قوله تعالى: ﴿فَسْأَلُ بِهِم

(١) ينظر: الجنى الداني: ١٠٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧٠.

(٣) سورة هود، الآية: ٤٨.

(٤) ينظر: البيان ١/ ٧١، التبيان ١/ ٣٦، البحر المحيط: ١/ ٤٦٥، ٢/ ١٣١.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٦) سورة الصافات، الأيتان: ١٣٧، ١٣٨.

خَيْرًا ﴿^(١)﴾، وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ ^(٢)

وليس هذا خاصاً بعد السؤال، بل تكون الباء موافقة

لـ«عن» بعد غير السؤال، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ

السَّمَاءُ بِالسَّمَنِ﴾ ^(٣)، وقوله تعالى: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٤).

ثامناً: الاستعلاء، وعبر بعضهم عنه بموافقة «على»، ومن أمثلة

ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنْطَارٍ

يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ﴾ ^(٥)، أي: على

قنطار، وعلى دينار. ومنه قول الشاعر ^(٦):

أَرْبُ يُبُولُ الثُّغْلَبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّغَالِبُ

فالباء في «برأسه» بمعنى «على»، بدليل قوله «من بالت عليه

الثغالب».

تاسعاً: التبعية، وعبر عنه بعضهم بموافقة «من» التبعية.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٢) سورة المعارج، الآية: ١.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.

(٤) سورة الحديد، الآية: ١٢.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

(٦) قائله: العباس بن مرداس السلمي. ينظر: ديوانه ص ١٥١، الأماشي الشجرية ٢/ ٢٧١،

شرح التسهيل ٣/ ١٥٢، الجنى الداني: ١٠٦.

وفي إتيان الباء بمعنى «من» التبعية خلاف طويل، فقد ذهب إلى أنها تأتي للتبعيض الكوفيون^(١) ومن تبعهم^(٢)، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٤). وقوله تعالى: ﴿عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٥). وذهب البصريون^(٦) ومن تبعهم^(٧) إلى أن الباء لا تأتي للتبعيض، وما استدلل به من أثبت لها هذا المعنى إما أن تكون زائدة، أو للإلصاق، أو على التضمنين، أي: يروي عباد الله.

عاشراً: القسم، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(٨). وهي أصل حروف القسم^(٩).

(١) ينظر: ارتشاف الضرب ٢/ ٤٢٧، المساعد ٢/ ٢٦٤، ائتلاف النصر ١٦١، مع الهوامع ٢/ ٢١.

(٢) ينظر: الجنى الداني: ١٠٦، تأويل مشكل القرآن ٥٧٥، حروف المعاني ٤٧، شرح الكافية الشافية ٢/ ٨٠٦، شرح الألفية لابن الناظم: ٣٦٦، جواهر الأدب ٤١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) سورة الإنسان، ٦.

(٥) سورة المطففين، الآية: ٢٨.

(٦) ينظر: ائتلاف النصر ١٦٠.

(٧) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/ ١٢٣، التبيان في إعراب القرآن ١/ ٤٢٢، الجامع لأحكام القرآن ٦/ ٨٧، الدر المنثور ٤/ ٢٠٩.

(٨) سورة النحل، الآية: ٣٨.

(٩) ينظر: الإيضاح العضدي ٢٦٨، المسائل العسكرية ١٠٠، معاني الحروف ٤١، أسرار العربية: ٢٧٦، شرح المفصل ٨/ ٣٢-٣٣، شرح الجمل لابن عصفور ١/ ٥٢٤-٥٢٥.



الحادي عشر: أن تكون بمعنى «إلى»، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾^(١)، أي: إلي. وقيل^(٢): إن الفعل محمول على التضمين، أي: لطف بي.

الثاني عشر: المقابلة، قال ابن مالك^(٣): «هي الداخلة على الأثمان والأعواض، كقولك: اشتريت الفرس بألف». وتسمى باء العوض ومنه قوله تعالى: ﴿وَشَرَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾^(٤). ويرى بعضهم^(٥) أن هذا المعنى داخل في معنى السببية.



(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٣٤٩/٥.

(٣) شرح التسهيل ١٥١/٣.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٠.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ١٠٥.

المبحث الثاني:

الدراسة التطبيقية

١- قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾^(١).

هذا مثل ضربه الله للمنافق بعد أن ذكر الله الأصناف الثلاثة: المؤمنين، والكفار، والمنافقين. وفي الباء في قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنها للتعدية، وهو مذهب أبي حيان، قال رحمه الله: والباء في «بنورهم» للتعدية، وهي إحدى المعاني الأربعة عشر التي تقدم أن الباء تجيء لها ..^(٢).

الثاني: أنها للإلصاق والمصاحبة، وهو المعنى الأصلي للباء، وإلى هذا ذهب كثير^(٣) من المفسرين. ففرق بين «ذهب به» و«أذهب»، قال الزمخشري: «والفرق بين «أذهب» و«ذهب به» أن معنى «أذهب» أزاله وجعله ذاهباً،

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

(٢) البحر المحیط: ٧٩/١. وانظر: مغني اللبيب ١٠٢/١، الجنى الداني: ١٠٢.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٥١/١، التحرير التنوير ٣١٠/١.



ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه، وذهب

السلطان بماله أخذه ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ ﴾ ، ﴿ إِذَا
لَذَهَبَ كُلُّ آلِمٍ بِمَا خَلَقَ ﴾ ، ومنه: ذهب به الخيلاء»^(١).

والراجح أنها للإلصاق والمصاحبة، وإنما أوثرت الباء على الهمزة في الآية هنا؛ لنكتة بلاغية نشأت من أصل الوضع؛ لأن أصل «ذهب به» أن يدل على أنهما ذهبا متلازمين، فهو أشد في تحقيق ذهاب المصاحب، يزيد هذا إيضاحاً قول الألويسي^(٢) : «وعدي بالباء دون الهمزة؛ لما في المثل السائر أن: ذهب بالشئ يفهم منه أنه استصحبه، وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى، ولا كذلك «أذهبه». فالباء والهمزة وإن اشتركا في معنى التعدية، فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلى معنى الهمزة والباء الأصليين، أعني: الإزالة والمصاحبة والإلصاق، ففي الآية لطف لا ينكر، كيف والفاعل هو الله تعالى القوي العزيز الذي لا راد لما أخذه، ولا مرسل لما أمسكه»^(٣).

(١) الكشف ٢٠٠/١.

(٢) هو أبو المعالي محمود شكري بن عبدالله الألويسي. ولد ببغداد سنة ١٢١٧هـ، أخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، حمل على أهل البدع في زمانه. توفي سنة ١٢٧٠هـ. له: روح المعاني، وبلوغ الأرب، والضرائر، وغيرها، ينظر: «الأعلام ٦٧١/٧»، معجم المؤلفين: ٩٦١/٢١.

(٣) روح المعاني: ١/١٦٥-١٦٦.

وللشيخ محمد رشيد رضا ^(١) كلام في دلالة الباء في الآية هنا ، حيث يقول: «وإنما قال: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ نُورَهُمْ﴾ ، ولم يقل: ذهب نورهم ، أو أذهب الله نورهم؛ للإشعار بأن الله كان معهم بمعونته وتوقيفه عندما استوقدوا النار فأضاءت؛ وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها ، معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها ، وبأنه تخلص عنهم عندما نكبوا تلك السبيل ، وعافوا ذلك المورد السلسبيل. ولا شك أن المستوقد المسترشد تكون له حالة مع الله تعالى مرضية في التوجيه إليه ، وقصد اتباع هداية والاستضاءة بنوره الذي وهبه إياه ، فإذا أعرض عنه ، وكله الله إلى نفسه وذهب بنوره ، وإذا ذهب النور ، لا يبقى إلا الظلمة ، وما كان هؤلاء في ظلمة واحدة ، ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض ، متعددة بتعدد أنواع التقاليد التي فتنوا بها ، وبتعدد أنواع الهداية التي أعرضوا عنها» ^(٢) .

٢- قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنُوا لِلْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعَالَمُونَ﴾ ^(٣) ﴿٤٢﴾ .

(١) هو محمد رشيد بن علي رضا، البغدادي الأصل. ولد بالشام سنة ١٢٨٢هـ، تنقل في كثير من البلاد، مفسر محدث. توفي سنة ١٣٥٤هـ. له التفسير ولم يكمله، والخلافة والإمامة، والوحي الحمدي، وغيرها، ينظر: «الأعلام ٦/ ٣٦١»، معجم المؤلفين: ٣٠١/٩.

(٢) تفسير المنار: ١/ ١٧١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٤٢.

هذه الآية خطاب لبني إسرائيل ألا يلبسوا ويشبهوا على الناس الحق بالباطل، حتى يكون الحق ملتبساً مشتبهاً غير واضح، لا يدركه الناس. ولا شك أن الباء لها دلالتها البيانية في الآية، حيث أضفت على الأسلوب دقة وبياناً في إظهار المعنى المراد، وتصوير فعل هؤلاء الذين كان دأبهم إيجاد اللبس وإظهار الشبهة، وإثارتها بكل سبيل ومن أي طريق؛ حتى لا يعرف الناس الحق فيتبعوه. وللمفسرين في هذه الباء رأيان:

أحدهما: أن الباء للاستعانة، كقولهم: كتبت بالقلم. كأن المعنى: ولا تجعلوا الحق ملتبساً مشتبهاً غير واضح لا يدركه الناس بسبب باطلكم^(١).

الثاني: أن الباء للإلصاق، كقولك: خلطت الماء باللبن. فكأنهم نهوا عن أن يخلطوا الحق بالباطل^(٢).

والذي أراه جواز المعنيين معاً في الباء هنا، فهم قد خلطوا الحق بالباطل وشبهوا على الناس، حتى كان الحق غير واضح مستعينين بباطلهم وإفكهم.

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾^(٣).

(١) ينظر الكشف ٢٧٧/١، تفسير أبي السعود ٩٦/١، روح المعاني: ٢٤٦/١.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٧٩/١، روح المعاني: ٢٤٦/١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٥٠.

في هذه الآية يمتن الله على بني إسرائيل قوم موسى أن أنجاهم من فرعون حين اضطرهم للبحر، فانطلق لهم بعد ضرب موسى إياه بعصاه، فسلكوا فيه حتى نجوا، ثم لحقهم فرعون بجنوده، فأغرقهم الله في البحر عن مشاهدة منهم ونظر لما كان. وللباء في قوله: «بكم» دلالتها البيانية، مما يدل على بلاغة النظم الحكيم. وللمفسرين في معنى الباء هنا قولان:

أحدهما: الملابس والإلصاق، وفي ذلك إحياء بعظيم قدرة الله تعالى وبالع فضل على بني إسرائيل، حيث فرق بهم البحر وهم ملاصقون له، متلبسون بمصدر الهلاك الذي أودى بعدوهم، فأنجاهم وأغرق عدوهم وهم منه قريب، كما يصور ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾. والجار والمجرور ظرف مستقر واقع موقع الحال من الفاعل، أي: أن الله كان ناصراً حافظاً لهم، وهو ما أشار إليه موسى - عليه السلام - بقوله: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾^{(١)(٢)}.

(١) سورة الشعراء، الآية: ٦٢.

(٢) ينظر: الكشاف ١/ ٢٨٠، روح المعاني: ١/ ٢٥٥.



وقد أبان ابن عاشور^(١) معنى الملابس هنا بقوله: «والباء في (بكم) للملابسة، كما في طارت به العنقاء، وعدا به الفرس، أي: كان فرق البحر ملابساً لكم، والمراد من الملابس أنه يفرق وهم يدخلونه، فكان الفرق حاصلًا بجانبهم»^(٢).

الثاني: السببية، قال الزمخشري مبيناً ذلك: «فإن قلت: ما معنى بكم؟ قلت: فيه أوجه: أن يراد أنهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم، فكأنما فرق بهم، كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما»^(٣)، وفي هذا استعارة تبعية بأن شبه سلوكهم بالآلة في كونه واسطة في حصول الفرق من الله تعالى^(٤).

٤- قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾^(٥).

(١) هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عاشور. تولى القضاء والفتيا بتونس، وبها توفي سنة ١٣٩٣هـ. له: تفسير التحرير والتنوير، وهدية الأريب، وحاشية على المحلى، وغيرها. ينظر: «الأعلام» ٦/ ١٧٤، معجم المؤلفين: ١٠/ ١٠٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٤٩٤.

(٣) الكشف ١/ ٢٨٠. وانظر: تفسير أبي السعود ١/ ١٠٠.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١/ ٢٥٥.

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧٥.

الفعل «أمن» يتعدى بالباء وبـ«على»^(١)، ومنه هذه الآية، قال الطبري^(٢) : «والباء في قوله: «بدينار» و«على» يتعاقبان في هذا الموضع، كما يقال: مررت به، ومررت عليه»^(٣). وإلى هذا ذهب الأخفش^(٤) وأبو حيان^(٥) والآلوسي^(٦)، وغيرهم ممن يرى أن فعل «أمن» يتعدى بالباء، ويتعدى بـ«على»، وقد بين الفخر الرازي^(٧) وجه صحة التعدية بالحرفين في الآية، فقال: «يقال: أمنت بكذا، وعلى كذا، كما يقال: مررت به وعليه، فمعنى الباء إلصاق الأمانة، ومعنى «على» استعلاء الأمانة، فمن أؤتمن على شيء، فقد صار ذلك الشيء في معنى الملتصق به؛ لقربه منه واتصاله بحفظه وحياطته، وأيضاً صار المودع كالمستعلي على

(١) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٠.

(٢) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، المفسر المحدث المؤرخ. رحل في طلب العلم، واستوطن بغداد، وبها توفي سنة ٣١٠ هـ. له: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار. ينظر: «تاريخ بغداد ١٦٢/٢»، وفيات الأعيان: ١٩١/٤، غاية النهاية: ١٠٦/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٢٦/٣.

(٤) ينظر: معاني القرآن: ٢٠٨/١.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٥٠٠/٢.

(٦) ينظر: روح المعاني: ٢٠٢/٣.

(٧) هو أبو عبدالله محمد بن عمر المعروف بـ«الفخر الرازي»، وبـ«ابن خطيب الري». مفسر متكلم، توفي سنة ٦٠٦ هـ. له: مفاتيح الغيب في تفسير القرآن، وشرح الوجيز، والسر المكتوم، وغيرها. ينظر: «الوافي بالوفيات ٤٨/٤»، النجوم الزاهر: ١٩٧/٦، شذرات الذهب: ٢١/٥.

تلك الأمانة والمستولي عليها، فلهذا حسن التعبير عن هذا المعنى بكلمتا العبارتين»^(١).

ولكن ما السر البلاغي في إثارة الباء هنا على «على»؟

بعد تتبع فعل «أمن» المتعدي بـ«على» في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَمْنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣)، وبعد إنعام النظر في الآيتين، نجد المؤتمن عليه فيهما إنساناً عاقلاً يملك حرية الإرادة والتصرف، والأمانة عليه تعني الإشراف عليه والحفظ من غوائل الشر ويد السوء، و«على» بحكم معناها ترمز إلى استعلاء المؤتمن بقوته، فهم إخوته وأكبر سناً وأحرص على أخيهما الذي استأمنهم أبوهم عليه.

أما تعدية الفعل بالباء في قوله: ﴿تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ﴾ .. الآية، فقد جاءت في سياق لا يخشى فيه على المؤتمن من عدوان خارجي يتطلب إشراف المؤتمن، واستعلاءه بقوته وفكره؛ دفاعاً عما أؤتمن عليه، وإنما هو موضع يخشى فيه على الأمانة من المؤتمن نفسه؛ لقربه منها والتصاقه بها، وتمكنه من حيازتها لنفسه^(٤).

(١) التفسير الكبير: ١١١/٨.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١١.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٤) ينظر: من أسرار حروف الجر ١٨٠-١٨١.

٥- قال تعالى: ﴿وَرَبِّبُكُمْ أَلَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾^(١).

اشتملت هذه الآية على من يحرم تزوجهن من النساء، ومن هؤلاء: الربيبة، وهي ابنة الزوجة المدخول بها، والإسلام يحث أبناءه على الحياء، واستعمال الكنايات الرفيعة عن بعض ما لا يصرح بذكره ويستهجن إيضاحه.

وفي القرآن الكريم والسنة المطهرة أمثلة رائعة على ذلك؛ لتكون مثلاً يحتذى، ونبراساً يقتدى به ويسار على ضوئه. ومن ذلك هذه الآية، فقد أعانت الباء على تحقيق الكناية عن الجماع في «دخلتم بهن»، كما قدرها الزمخشري بقوله: «أي: أدخلتموهن الستر»^(٢) إلى جانب بيانها البلاغي في معنى اللصوق والارتباط والقرب بين الزوجين، مما يحقق الغاية من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^{(٣)(٤)}.

٦- قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٥).

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

(٢) الكشف ٥١٧/١.

(٣) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٤) ينظر تفسير أبي السعود: ١٦٢/٢، روح المعاني: ٢٥٨/٤.

(٥) سورة النساء، الآية: ٣٦.



«أحسن» يتعدى في لغة العرب بالباء واللام وإلى ^(١)، وفي كل حرف لطائف بيانية ونكات بلاغية تضيف على الأسلوب الذي جاءت فيه قوة وبياناً، ودقة في إبراز المعنى وإيضاحه، ما لا يتأتى في تعديته بالحرف الآخر.

و«إحساناً» مصدر منصوب بفعل محذوف، التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً.

وفي إثارة الباء هنا في الآية معنى دقيق يلمح إلى قرب المحسن من المحسن إليه، وحبه له ومصاحبته ولصوقه به بإحسانه، دون إشعاره بذلك بالإحسان، يبين هذا المعنى قول الشيخ محمد رشيد رضا: يقال: «أحسن به، وأحسن له وأحسن إليه وقيل: إذا تعدى الإحسان بالباء يكون متضمناً لمعنى اللطف، وعندي أن التعدية بالباء أبلغ؛ لإشعارها بالصاق الإحسان بمن يوجه إليه من غير إشعاره بالفرق بينه وبين المحسن، والتعدية بـ«إلى» تشعر بطرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر» ^(٢).

فالإحسان في الآية متضمن معنى البر بالوالدين بجميع معاني البر من حيث التوقير والإكرام والاحترام، وغير ذلك ^(٣).

(١) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٥٤-٥٥.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٨٤/٥.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٢٨/٥، التحرير والتنوير: ٤٩/٥.

٧- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَذِرُ يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ (٤٢) (١).

ذهب الزجاجي (٢) وأبو حيان (٣) وغيرهما إلى أن الباء في قوله: «لو تسوى بهم الأرض»، بمعنى «على»، أي: لو تسوى عليهم الأرض، لكن المبالغة التي تؤذيها الباء من معنى اللصوق والمصاحبة والاختلاط تذهب حينئذ؛ لأن القرآن يهدف إلى تصوير ما يراه الكافرون يوم القيامة من أهوال، وما يتكشف لهم من سوء العذاب يجعلهم يتمنون أن يكونوا تراباً يتداخل مع تراب الأرض ويختلط به، حتى لا يكون لهم أثر يدل عليهم. وهو ما صرح به القرآن في موضع آخر، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (٤)، وإلى هذا المعنى ذهب كثير من المفسرين (٥)، وزاد بعضهم: يودون أنهم لم يبعثوا، وقيل: تصير البهائم تراباً فيودون حالها (٦).

٨- قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا

(١) سورة النساء، الآية: ٤٢.

(٢) ينظر: حروف المعاني: ٨٦.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٥٣/٣.

(٤) سورة النبأ، الآية: ٤٠.

(٥) ينظر: الكشف ٥٢٨/١، تفسير أبي السعود ١٧٨/٢، روح المعاني: ٣٤/٥.

(٦) ينظر: المصادر السابقة.



بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ^(١).

في هذه الآية تصوير لحال الذين يروجون الإشاعات، ويختلقون الأكاذيب، زعزعة للأمن، وإضراراً لنار الفتنة، وإثارة للبلبلية بين الناس، وهذا حالهم في كل زمان ومكان، كفى الله المسلمين شرورهم.

وقد ذهب أبو عبيدة ^(٢) إلى أن الباء في قوله «أذاعوا به» زائدة، حيث قال: «أذاعوا به: أفضشوه، معناها: أذاعوه» ^(٣).

لكن لو جعلت الباء زائدة في الآية، لأفادت أن فعلهم هو نشر الأخبار بين المسلمين دون أن يكون فيها تلك المبالغة من حرصهم ومتابعتهم بأنفسهم لها، وهذا ما تفيد به الباء إذا قلنا: إنها تفيد اللصوق والمصاحبة، كما هو رأي آخريين من المفسرين ^(٤).

فالآية تصور إسهام هؤلاء في نشر الشائعات، وإثارة الفتنة بين المسلمين، وقد أفادت الباء حرصهم البالغ على استصحاب الأخبار

(١) سورة النساء، الآية: ٨٣.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري، عالم بالشعر والغريب والأخبار والأنساب، أخذ عن يونس وأبي عمرو. توفي بالبصر سنة ٢٠٩ هـ. له: مجاز القرآن ونقائض جرير والفرزدق، وغيرها. ينظر: «تاريخ بغداد» ٣١/٣٥٢، وفيات الأعيان ٥/٢٣٥، بغية الوعاة: ٢/٢٩٤.

(٣) مجاز القرآن: ١/١٣٣.

(٤) ينظر: الكشف ١/٥٤٨، تفسير أبي السعود: ٢/٢٠٨، روح المعاني: ٥/٩٤، التحرير والتنوير ٥/١٣٩.



المثيرة، وأبرزت لنا توليهم بأنفسهم إيصالها إلى جموع المسلمين وترويجهم لها، والتزامهم إياها وتعاهدها بالمتابعة حتى تحقق أهدافها.

٩- قال تعالى: ﴿وَكَبَّنا عَلَيْهِم فِيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ^(١)﴾.

استشهد العز بن عبد السلام^(٢) بهذه الآية على إفادة الباء إلصاق المعنى بالمعنى، حيث قال: «الثالث: إلصاق المعنى بالمعنى، كقوله: «النفس بالنفس والعين بالعين»، أي: النفس مقتولة بقتل النفس، والعين مفقوءة بفقء العين، أتى بالباء ليكون المسبب وهو القصاص منسوباً إلى الجنابة نسبة السببية، فأشبهه لذلك الإلصاق الحقيقي»^(٣).

والإلصاق يوحي أن القرآن قصد التخويف وشدة الزجر؛ بغية منع الناس من الإقدام على القتل، منذراً بسرعة العقوبة وتعجيل القصاص قبل أن تجف الدماء، وكأن نفس القاتل مرهونة مقيدة بنفس القتيل، وإقدامه على قتل غيره بمثابة إقدامه على قتل نفسه،

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) هو عبدالعزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، إمام في الفقه والأصول على مذهب الشافعي. توفي بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ. له: القواعد الكبرى في أصول الفقه، وتفسير القرآن، وغيرهما، ينظر: النجوم الزاهرة: ٢٠٨/٧، شذرات الذهب: ٣٠١/٥.

(٣) الإشارة إلى الإيجاز: ٢٥٠.



وهذا معنى إصاق نفس القاتل بنفس من قتله، ومثله القصاص في الجوارح الأخرى، فلا يقدم من تعز عليه عينه على فقء عين غيره، وهكذا^(١).

وذهب ابن عاشور إلى أن الباء للعرض، أي: إن النفس المقتولة تعوض بنفس القاتل^(٢).

١٠- قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٣).

دلائل قدرة الله وآياته كثيرة، فكل ما في الوجود ينطق بوحدانيته ويشهد بألوهيته، ومن ذلك الفطرة السليمة التي لم تصبها لوثة الشرك، ولم تحرفها شياطين الإنس والجن، فالله سبحانه خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، لكن الكافرين أشركوا مع الله غيره وساووه به.

والباء في قوله: «بربهم»، إما بمعنى «عن»، أي: ثم الذين كفروا عن ربهم يعدلون إلى عبادة غيره شركاً معه سبحانه^(٤). وإما أن تكون الباء للتسوية، وهو وارد عن العرب كما في لسان العرب

(١) ينظر: من أسرار حروف الجر: ١٦٦-١٦٧.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١٤/٦..

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١.

(٤) ينظر: تفسير الخازن: ١١٧/٢.

«عدلت الشيء بالشيء، أعدله عدولاً: إذا ساويته به»^(١)، فالمعنى: أن المشركين ساووا بين الخالق والمخلوق، بين الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور، وبين من لا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ولهذا كانت الباء بمعنى التسوية أبلغ من كونها بمعنى «عن».

وللشيخ محمد رشيد رضا لفظة بلاغية في العطف بـ«ثم» في الآية، حيث قال: «وقد عطف بـ«ثم» الدالة على بعد ما بين مدلولي المعطوف والمعطوف عليه؛ لإفادة استبعاد ما فعله الكافرون، وكونه ضد ما كان يجب عليهم للإله الحقيقي بجميع المحامد؛ لكونه هو الخالق لجميع الكون العلوي والسفلي ..»^(٢).

١١- قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣) ﴿١٥٣﴾

هذه هي الوصية العاشرة لهذه الأمة بسلوك صراط الله المستقيم وترك التفرق واتباع السبل الأخرى الضالة، وقد ذكر ابن القيم أن الصراط جاء مفرداً معرفاً، إما باللام أو بالإضافة؛ وذلك يفيد تعيينه واختصاصه، وأنه صراط واحد، أما طرق المغضوب عليهم وأهل

(١) لسان العرب: ٤٣٢/١١.

(٢) تفسير المنار: ٢٥٩/٧.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.



الضلال، فإنه سبحانه يجمعها؛ وذلك لأن الطريق الموصل إلى الله واحد، وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه لا يصل إليه أحد إلا من هذا الطريق، فكل باب مغلق وكل طريق مسدود إلا هذا الطريق^(١).

فالحق واحد، والباطل ما خالفه، وهو كثير متنوع^(٢) وإسناد هذا التفرق إلى السبل، وتعدية الفعل بالباء «فتفرق بكم» التي تفيد الإلصاق والمصاحبة، يدل على أن السبل في ذاتها متفرقة ضالة، لا تلتقي على وجه من الحق، فالسالك يظل حائراً تائهاً تتجاذبه الأهواء وتتنازعه الاتجاهات وهذا ما لا يؤديه الفعل لو تعدى بنفسه، إذ لو قيل: فتفرقكم السبل، لكان المعنى أن هذه السبل تضل السالكين وتبعدهم عن سبيل الله، وهذا ليس بقوة المعنى ودقته التي جاءت به باء الإلصاق والمصاحبة.

يقول ابن عاشور: والباء في قوله: «بكم» للمصاحبة، أي: فتتفرق السبل مصاحبة لكم، أي: تتفرقون مع تفرقها، وهذه المصاحبة المجازية تجعل الباء بمنزلة همزة التعدية، فيكون المعنى: فتتفرقكم عن سبيله، أي: لا تلاقون سبيله^(٣).

(١) ينظر: مدارج السالكين: ١٤/١-١٥.

(٢) ينظر: تفسير المنار: ١٩٥/٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١٧٣/٨، وانظر: روح المعاني: ٥٧/٨.

١٢- قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾^(١).

هذه الآية خطاب من شعيب - عليه السلام - لقومه الذين كانوا يرتكبون جمعاً من الجرائم والفعال القبيحة، ومن ذلك: قطع الطريق، وأخذ الضرائب والمكوس على المسافرين، ونهب أموالهم وبضائعهم دون حق أو سبيل، مستغلين ضعفهم وقتلتهم وعدم استعدادهم للقائهم.

وقد أجاز الشيخ ابن عاشور أن تكون الباء في قوله: «بكل صراط» بمعنى «في»، حيث يرى أن الباء إذا دخلت على أسماء المنازل كانت بمعنى «في»، كقول الشاعر^(٢):

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

أي: في سقط اللوى. والمعنى في الآية: ولا تقعدوا في كل صراط^(٣).

وذهب بعض المفسرين^(٤) إلى أن الباء هنا بمعنى «على» والمعنى: لا تقعدوا على كل صراط.

والأقرب - والله أعلم - أن الباء هنا على معناها الأصلي، وهو

(١) سورة الأعراف، الآية: ٨٦.

(٢) قائله: امرؤ القيس. ينظر: ديوانه ٨، الكتاب: ٢/٢٠٥، خزانة الأدب: ٤/٣٩٧.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٢٤٦.

(٤) ينظر: تفسير البيان: ٤/٤٤٦، مجمع البيان: ٤/٤٥٥.

الإلصاق، حيث تصور لنا الباء هنا التريص وطول المكث بالطرقات انتظاراً للمارين، وإصراراً على صدهم عن سبيل الله، فهم مقيمون على الدوام، ملازمون تلك الطرق، وفي ذلك من المبالغة في حرصهم على قطع الطريق وإيذاء المارة، وصد الناس عن الهدى والحق ما لا يتأتى إلا بالباء.

١٢- قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذِرِينَ﴾^(١).

أصاب المسلمين شدة وبلاء في غزوة حنين لما أعجبوا بكثرتهم، حتى قال قائلهم: لن نغلب اليوم من قلة، فحصلت الهزيمة لهم في أول المعركة وصور القرآن حالتهم تلك من ضيق الأرض بعد سعتها، ثم فرارهم عن أرض المعركة، وتولية الأعداء أدبارهم.

وقد ذهب الفراء^(٢) والطبري^(٣) إلى أن الباء في قوله:

﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ بمنزلة «في»، كما

تقول: ضاقت عليكم في رحبها وبرحبها، أي: سعتها.

وذهب أكثر المفسرين^(٤) إلى أن الباء للملابسة بمعنى «مع»

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن: ١/ ٤٣٠.

(٣) ينظر: جامع البيان: ١٠/ ٧٠.

(٤) ينظر: الكشف: ٢/ ١٨٢، تفسير أبي السعود ٤/ ٥٥، التحرير والتنوير: ١٠/ ١٥٧.

و«ما» مصدرية، أي: ملتبسة برحبها، على أن الجار والمجرور في موضع الحال كما تقول: دخلت عليه بثياب السفر، أي: ملتبساً بها لم أحلها، والمعنى: أنكم لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهريكم ونجاتكم لفرط الرعب فكأنما ضاقت عليكم.

ويرى الألوسي أن في هذا الكلام استعارة تبعية، إما لعدم وجدان مكان يقرون به مطمئنين، أو أنهم لا يجلسون في مكان، كما لا يجلسون في المكان الضيق^(١).

١٤- قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٢).

جاء الفعل رغب متعدياً تارة بإلى، وتارة بفي، وتارة بعن وهو في تعديته بأحد هذه الحروف له دلالة مغايرة لدلالة تعديه بالحرف الآخر، وفي كل حالة من هذه الحالات سر بلاغي وإعجاز بياني.

يقول الراغب الأصفهاني - معدداً بعض معاني الفعل رغب: «أصل الرغبة السعة في الشيء .. فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٣)، وإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، نحو قوله تعالى:

(١) ينظر: روح المعاني: ٧٤/١٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٠.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ^(١) ، وقوله: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ
ءَالِهَتِي﴾ ^{(٢)(٣)} .

إن الحروف التي تعدى بها الفعل رغب هي التي أفادت هذه المعاني المتغايرة، وكان لموقعها في السياق نكتته البلاغية وسره البياني، فحين عدي الفعل رغب بفي الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوي الظرف المظروف دل ذلك على معنى الحرص كأنه أفرغ كل رغبته فيه، وحين عدي الفعل بـ(إلى) الدالة على انتهاء الغاية أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه وتوجهه إليه وانصرافه عما عداه كقوله تعالى: ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ وحين عدي الفعل بـ«عن» الدالة على المجاورة أفاد الفعل هنا الانصراف عن الشيء وتجاوزه كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ ، وقوله: ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي﴾ ^(٤) .

وفي موضع آخر عدي الفعل رغب بعن مع وجود الباء التي تفيد الإلصاق والملابسة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِمْ﴾ فدل على البخل بالنفس وعدم التفريط فيها؛ لأن إلصاق الرغبة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

(٢) سورة مريم، الآية: ٤٦.

(٣) المفردات: ١٩٨، وانظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٣٠.

(٤) ينظر: من أسرار حروف الجر، ص ٨.

بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها والضمن بها على الآخرين، وعدم الانفكاك عنها بأي حال من الأحوال، مع أن الواجب - كما في الآية - أن يكونوا مع رسول الله ﷺ يجاهدون في سبيل الله ويكابدون معه الشدائد والأهوال، ولا ينصرفون عنه ويتجاوزونه إلى الاهتمام بأنفسهم والعناية بها.

يقول الزمخشري: «أمرُوا بأن يصحبوه على البأساء والضراء، وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتراب، وأن يُلْقُوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه، علماً بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه، فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول، وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له، ولا يكثر لها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً، وتكون أخف شيء عليهم وأهونه، فضلاً عن أن يريئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها، ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه»^(١).

ويزيد ابن عاشور هذا المعنى إيضاحاً فيقول: «أريد برغبتهم عن نفسه محبتهم أنفسهم وحرصهم على سلامتها، دون الحرص على سلامة نفس الرسول ﷺ، فكأنهم رغبوا عن نفسه؛ إذ لم يخرجوا معه ملاسين لأنفسهم، أي: محتفظين بها؛ لأنهم بمقدار من يتخلف منهم يزداد تعرض نفس الرسول من التلف قريباً ..»^(٢).

(١) الكشف ٢/ ٢٢٠.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ٥٦/ ١١.

١٥- قال تعالى: ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ ﴾^(١).

الفعل (سمع) يتعدى إلى مفعوله بنفسه فيفيد معنى إدراك الأصوات، ويتعدى بحروف الجر وهي: من، عن، اللام، إلى، الباء، وفي تعديته بكل حرف من هذه الحروف معاني وأغراض لا تكون في تعديته بحرف آخر، وهذا الأمر يحتاج إلى دقة وتأن في إدراك أسرار هذه التعدية وما ترتب عليها من اختلاف دلالة التراكيب.

وقد أشار إلى ما أفاده الفعل (سمع) حين تعديته بأحد هذه الأحرف من المعاني العلماء والمفسرون، من ذلك قول الخطابي: «إذا قلت: سمعت منه كلاماً، أردت سماعه من فيه، وإذا قلت: سمعت عنه علماً، كان ذلك من بلاغ»^(٢).

وقال الزمخشري: «فإن قلت: أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث وسمعت إليه يتحدث، وسمعت حديثه وإلى حديثه؟ قلت: المعنى بنفسه يفيد الإدراك، والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك»^(٣)، فلما تعدى الفعل «سمع» بإلى أفاد حسن الإصغاء لما في (إلى) من معنى التوجه إلى الشيء والقصد إليه.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٤٧.

(٢) بيان إعجاز القرآن: ٣٢.

(٣) الكشف: ٣/٣٣٦.

وحين يتعدى الفعل «سمع» باللام يكتسب من معنى الاختصاص باللام إيثار المسموع واختصاصه بالقبول والتسليم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾^(١)، مع ما دلت عليه صيغة الافتعال من المبالغة في الفعل، مما يوجب هذا العمل بما فيه وعدم تجاوزه إلى غيره^(٢).

أما تعديته بالباء في قوله: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ فقد كشفت الباء بما تدل عليه من معنى المصاحبة والملابسة عما تكنه نفوس المشركين من مكر واستخفاف، واستهزاء وسخرية وما يكيّدون ويدبرون ضد الإسلام ورسول الإسلام ﷺ بعد تظاهرهم بالاستماع لآيات القرآن الكريم.

قال ابن عطية: «هذا كما تقول: فلان يستمع بحرص وإقبال.. فالضمير في به عائد على ما، وهي بمعنى الذي، والمراد بالذي ما ذكرناه من الاستخفاف والإعراض فكأنه قال: نحن أعلم بالاستخفاف والاستهزاء الذي يستمعون به، أي: هو ملازمهم، ففضح الله بهذه الآية سرهم»^(٣).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٤.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٩/ ١٥٠، تفسير المنار: ٩/ ٢٣٨-٢٣٩، من أسرار حروف الجر: ٩.

(٣) المحرر الوجيز: ١٠/ ٣٠٢.



ونقل أبو حيان عن الحوفي^(١) السبب في تعدية الفعل سمع بالباء والعدول عن تعديته بنفسه فقال: «وقال الحوفي: لم يقل يستمعونه ولا يستمعونك، لما كان الغرض ليس الإخبار عن الاستماع فقط، وكان مضمناً أن الاستماع كان على طريق الهزاء بأن يقولوا: مجنون أو مسحور جاء الاستماع بالباء وإلى؛ ليعلم أن الاستماع ليس المراد به تفهم المسموع دون هذا المقصد»^(٢).

١٦- قال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾^(٣).

هذه الآية مشتملة على تعداد يوسف - عليه السلام - ممن الله ونعمه عليه، ومنها إخراجهم من السجن بعد أن لبث فيه بضع سنين، ثم كان له ما قصته الله عز وجل في القرآن الكريم.

وقد سبق القول بأن الفعل «أحسن» يتعدى بالباء واللام وإلى، وفي تعديته بأحد هذه الحروف نكتة بلاغية وسر جمالي، ف«أحسن» هنا متضمن معنى «لطف»، وهو الإحسان الخفي، والباء للملابسة،

(١) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي، المحوي مصري مفسر، تلمذ عليه خلق كثير، توفي سنة ٤٣٠هـ. له: البرهان في تفسير القرآن، الموضح في النحو، الإرشاد، وغيرها. ينظر: أنباء الرواة: ٢/٢١٩، معجم الأدباء: ١٢/٢٢١، بغية الوعاة: ٢/١٤٠.

(٢) البحر المحيط: ٤٣/٦، وانظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٥/١٢٠.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.

أي: من لطفه أن جعل إحسانه ملابساً لي، يدل على ذلك ما بعده^(١)، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾. وللزركشي لفظة دقيقة في سر الإتيان بالباء في الآية، حيث يقول: «فإنه يقال: أحسن بي وإلي، وهي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف - عليه السلام - «بي»؛ لأنه إحسان درج فيه دون أن يقصد الغاية التي صار إليها»^(٢).

١٧- قال تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا﴾^(٣).

هذه الآية خطاب لمريم - عليها السلام - من ابنها عيسى - عليه السلام - لما وضعته، وقد كانت في كرب وشدة وألم، أمرها بأن تهز جذع نخلة عندها لتأكل من رطبها ما تتبلغ به ويعينها على ما هي فيه.

وفعل «هز» يتعدى بنفسه إلى مفعوله ويتعدى بالباء^(٤)، كما نقل ذلك الفراء عن العرب أنهم قالوا: «هزه وهز به»، وأخذ الخطام

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣٠٧/٤، التحرير والتنوير: ٥٧/١٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٧٦/٤.

(٣) سورة مريم، الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٤١١.



وأخذ بالخطام»^(١). لكن ما السر في تعدية الفعل هنا بالباء؟ ذهب كثير من المفسرين^(٢) إلى أن الباء هنا صلة للتوكيد، وزاد بعضهم أنها للصوق الفعل بمفعوله، أي: افعلي الهز بجذعها، وفي ذلك إرشاد لمريم - عليها السلام - أن تبشر الهز بنفسها ممسكة بالجذع ملتصقة به ليكون أقوى وأعون على الهز، دون ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن من رمية بحجر ونحوه مما يتخذها الناس وسائل لإسقاط الرطب، وقد ذهب آلوسي إلى أن الباء هنا للآلة، مثل قولك: كتب بالقلم^(٣).

١٨ - قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَيُزَلُّ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا

﴾^(٤) ﴿٢٥﴾

هذه الآية تكشف لنا عن أهوال يوم القيامة، وتعطي صورة من صور كمال قدرة الله على كل شيء، حيث تتبدل الأرض غير الأرض، وانشقاق السماء، وتكوير الشمس، وانكدار النجوم، وغير ذلك مما يكون يوم القيامة من الأهوال والعظائم.

وللمفسرين في الباء في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ﴾ ثلاثة أقوال:

(١) معاني القرآن: ١٦٥/٢.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٦٢/٥، التحرير والتنوير: ٨٨/١٦.

(٣) ينظر روح المعاني: ٨٤/١٦.

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٥.

أحدها: أن الباء بمعنى «عن»، أي: عن الغمام، والباء و«عن» يتعاقبان، كما تقول: رميت بالقوس وعن القوس، وإليه ذهب الفراء^(١) والقرطبي^(٢).

الثاني: أن الباء للسببية، أي: تشقق السماء بسبب طلوع الغمام، الذي جعل الله فيه قوة تشقق بها السماء لتنزل الملائكة، ولا مانع أن تُشقق به كما يشق السنام بالشفرة، والله تعالى على كل شيء قدير، وإلى هذا ذهب أبو السعود^(٣) والآلوسي^(٤).

الثالث: أن الباء للملابسة، أي: تشقق السماء ملابسة للغمام الذي يظهر متدافعاً متدفقاً غزيراً، فيشقها تمهيداً

(١) ينظر: معاني القرآن: ٢/٢٦٧.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٣/١٣. والقرطبي: هو أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المالكي، من المفسرين الفقهاء. توفي بمصر سنة ٦٧١هـ. له: الجامع لأحكام القرآن، الأسنى في أسماء الله الحسنى، وغيرهما، ينظر: «شذرات الذهب»: ٣٣٣/٥، الديباج المذهب: ٣١٧.

(٣) ينظر تفسير أبي السعود: ٣١٢/٦. وأبو السعود: هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، مفسر فقيه، ولي قضاء القسطنطينية، ثم الفتيا. توفي سنة ٩٨٢هـ. له: «إرشاد العقل السليم «تفسيره»، وبضاعة القاضي في الصكوك، وغيرهما، ينظر: «البدر الطالع»: ١/٢٦١، شذرات الذهب: ٨/٣٩٨.

(٤) ينظر: روح المعاني: ٩/١٩.



لإزالة صورتها وتغير خلقها، وهو رأي بعض المفسرين^(١).

فهذا القول هو الأول نفسه، إلا أنه أضيف إليه معنى الملابس الذي أفادته الباء مع السببية؛ لأنها هي التي تحقق الفرض من شدة الغمام واندفاعه، فهو والحالة هذه ملاصق للسماء، وإلى هذا المعنى الدقيق يشير الزمخشري بقوله: «فإن قلت: أي فرق بين قولك: انشقت الأرض بالنبات وانشقت عن النبات؟ قلت: معنى انشقت به: أن الله شقها بطلوعها فانشقت به، ومعنى انشقت عنه: أن التربة ارتفعت عنه عند طلوعه، والمعنى أن السماء تتفتح بغمام يخرج منها»^(٢).

١٩- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾^(٣).

هذه الآية في ذكر صفات عباد الرحمن الحميدة وخلالهم الكريمة وشمائلهم الرفيعة، ومن ذلك إعراضهم عن اللغو، وهو ما ينبغي أن يلغى ويطرح مما لا خير فيه، وكذا مجالسه وأهله، مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه.

وللباء في الآية دلالتها الدقيقة ولطيفتها البلاغية مما لا يقوم به

(١) ينظر: روح المعاني: ٩/١٩، التحرير والتنوير: ١٠/١٩.

(٢) الكشف: ٨٩/٣.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٧٢.



أي حرف سواها؛ لأن الإنسان في هذه الحياة يعيش مع الناس ويخالطهم، وعباد الرحمن أهل ثبات وقوة يقين، بحيث يستطيعون المحافظة على نزاهة ألسنتهم وسمعهم وقلوبهم من اللغو، مهما التصق بهم اللاغون واقترب منهم العابثون، وذلك أبلغ في مدحهم والثناء عليهم^(١).

وللشيخ ابن عاشور لفظة رائعة في الآية، حيث يقول: «ومعنى المرور به: المرور بأصحابه اللاغين في حال لغوهم، فجعل المرور بنفس اللغو للإشارة إلى أن أصحاب اللغو متلبسون به وقت المرور»^(٢).

وإذا ضُم هذا إلى إفادة الباء اللصوق والمصاحبة، كان أقوى في بيان المعنى ودقته، فالحياة معترك يختلط فيه المؤمن مع غيره، وقد يُفرض عليه ما لا يهواه، لكن كمال الإيمان في أن يظل المسلم ثابتاً على مبدئه متمسكاً بعقيدته وثوابته، ولو أحاطت به الفتن، وانتشر من حوله الباطل.

٢٠- قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (١٩٣) ﴿^(٣)

أنزل الله القرآن الكريم نوراً وهدى ونبراساً يقتدى به، أحيا الله به قلوباً موتى، وفتح به أعيناً عمياً وآذاناً صماً، أفضّل

(١) ينظر: تفسير أبي السعود: ٦/ ٢٣٠، روح المعاني: ١٩/ ١٥.

(٢) التحرير والتنوير: ١٠/ ٧٩.

(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.



الكتب، نزل به جبريل على مصطفى الخلق ومجتبى الرسل محمد ﷺ.

وفي إتيان الباء هنا في الآية مغزى دقيق وسر بديع، حيث دلت باء المصاحبة على استصحاب جبريل - عليه السلام - لما نزل به، وفي ذلك دلالة التكريم والاحتفاء بالمنزل ومن أنزل عليه، وكذا الرسول به جبريل - عليه السلام - الموصوف بـ«الروح الأمين»، وإلى معنى المصاحبة في الباء، ذهب ابن عطية^(١) وأبو حيان^(٢) والآلوسي^(٣)، وجعلوا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال، أي: مصاحباً له، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ﴾^(٤)، وذهب أبو السعود^(٥) إلى أن الباء زائدة، أي: أنزله، ولا أرى للزيادة هنا معنى، فالأرجح ما ذكره السابقون.

٢١- قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَمِّ مُوسَىٰ فَتْرِيًّا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّٰ قَلْبِهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦).

هذه الآية تصور لنا بجلاء حال أم موسى وما يعمل في قلبها من

(١) ينظر: المحرر الوجيز: ٧٩/١٢.

(٢) ينظر البحر المحيط: ٤٠/٧.

(٣) ينظر روح المعاني: ١٢٠/١٩.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦١.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٤٣/٦.

(٦) سورة القصص، الآية: ١٠.

ظنون، وما يتجاذبها من هواجس متباينة بين مصير ابنها المجهول في اليم، وترى فرعون بأولاد بني إسرائيل لقتلهم في تلك السنة، ثم نتيجة ذلك ما كان في أعماق هذه الأم المفجوعة من الخوف على صغيرها.

وللمفسرين في الباء في قوله: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أن الباء للسببية، أي: تبدي حقيقة الحال بسببه، أي: بسبب ما عراها من فراقه ^(١).

الثاني: أنها زائدة لتأكيد لصوق المفعول بفعله ^(٢)، فالباء هنا دلالتها على شدة الارتباط بين الأم وابنها وتعلق قلبها به، وهي حين اشتد بها الهلع وأوشكت على إظهار أمره، فإنها بنفسها تبدي وبمصيرها المرتبط بمصير ولدها تتحدث، كل هذه المعاني لا يمكن تأديتها إلا بالباء التي خلعت على النظم القرآني من معاني الارتباط الوثيق والمصير الواحد والخطر المشترك ما لا يؤدي بغيرها.

(١) ينظر: روح المعاني: ٤٩/٢٠.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٠٧/٧، التحرير والتنوير: ٨٢/٢٠.



٢٢- قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾^(١).

هذه الآية خطاب للنبي ﷺ وتسلية له مما يلاقي من قومه من عنت وصلف وإعراض، فالله معه يكلؤه بعنايته، ويرعاه ويحفظه وينجيه بفضله فمصير أمره إلى عز، ومآل رسالته إلى تمكين، وإن كاد لها الكائدون، ودبر لها المكارون^(٢).

وقد كان للباء في الآية ظلال وارفة، بما فيها من معنى المصاحبة في إبراز لطف الله وتكريمه لرسوله ﷺ بمعيته له، وهذه هي المعية الخاصة التي من ثمراتها النصر والتأييد والحفظ والرعاية، وهي للرسول صلى الله عليه وسلم ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم.

٢٣- قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾^(٣).

هذه الآية في معرض تعداد نعيم أهل الجنة، فمن نعيمهم تزويجهم بالهور العين اللاتي جعل الله فيهن من محاسن الجمال وحسن الخلق ما هو به عليهم.

والفعل «زوج» يتعدى إلى مفعوله بنفسه، كما يتعدى إليه

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤١.

(٢) ينظر: من أسرار حروف الجر: ١٧٠.

(٣) سورة الدخان، الآية: ٥٤.

بالباء^(١) ، وفي القرآن الكريم أوثرت الباء في تعديته ، فلم يأت: وزوجناها حوراً ، مع صحته؛ وذلك للإشعار بقربهن وشدة التصاقهن بأزواجهن وملازمة مصاحبتهن لهم ، وفي ذلك يقول الراغب الأصفهاني^(٢) : «وقوله: ﴿كَذَلِكَ زَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ ، أي: قرناهم بهن ، ولم يجئ في القرآن: زوجناهم حوراً ، كما يقال: زوجته امرأة؛ تنبيهاً أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف فيما بيننا من المناكحة»^(٣) .

٢٤- قال تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ﴾^(٤) .

دعا نوح قومه إلى عبادة الله وحده ، فكذبه قومه واستمروا في شركهم ، فأمر نوح ببناء السفينة ، حتى إذا حلَّ بهم العذاب وهو الفرق ، ركب فيها مع من آمن معه وهم قليل ، وكانت في المياه الكثيرة وبين الأمواج المتلاطمة تجري بحفظ من الله ورعاية ، وهو ما أفادته الباء الدالة على الإلصاق والمصاحبة ، حيث دلت على قرب

(١) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٥٢-١٥٣ .

(٢) هو أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب الأصفهاني ، من المفسرين الأدباء توفي سنة ٥٠٢ هـ . له: تحقيق البيان في تأويل القرآن ، والمفردات ، والذريعة إلى مكارم الشريعة . ينظر: «سير أعلام النبلاء: ١٨ / ١٢٠ ، بغية الوعاة: ٢ / ٢٩٧» .

(٣) المفردات ٢١٦ .

(٤) سورة القمر ، الآية: ١٤ .

الله ومعيته، ونوح ومن آمن معه في ذلك الوقت في أمس الحاجة إلى رعاية الله وحفظه، فكان لهم ذاك ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ۝٥١ ﴾^(١).

وقد ذكر ابن القيم سبب إيثار الباء، مع أنه قد جاء مثله مع فعل آخر حرف «على» في قوله: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۝٣٩ ﴾^(٢)، وفي الموضعين يظهر حفظ الله لرسله - عليهم السلام - وإعانتة لهم، فقال: «فالفرق أن الآية الأولى وهي قوله: «ولتصنع على عيني» وردت في إظهار أمر كان خفياً، وإبداء ما كان مكتوماً، فإن الأطفال إذ ذاك كانوا يغذون ويصنعون سراً، فلما أراد أن يصنع موسى ويغذى ويربى على حال آمن وظهور، لا تحت خوف واستسراء، دخلت «على» في اللفظ تنبيهاً على المعنى؛ لأنها تعطي الاستعلاء، والاستعلاء ظهور وإبداء، فكأنه يقول سبحانه وتعالى: ولتصنع على آمن لا تحت خوف، وذكر العين لتضمنها معنى الرعاية والكلاءة، وأما قوله تعالى: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ۝٦٠ ﴾، ﴿ وَأَصْنَعُ ٱلْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا ۝٦١ ﴾، فإنه إنما يريد برعاية منا وحفظ، ولا يريد إبداء شيء ولا إظهاره بعد كتم، فلم يحتج في الكلام إلى معنى «على»، بخلاف ما تقدم^(٣).

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.

(٢) سورة طه، الآية: ٣٩.

(٣) بدائع الفوائد: ٦-٥/٢.

٢٥- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ
يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ (١).

هذه الآية وعدٌ من الله للمتقين، وبشارة لهم بأن هذا النور الذي
تمسكوا به في الدنيا، يكون لهم في الآخرة وهم في أمس الحاجة
إليه على الصراط، وهو دحض مزلة.

وللباء في الآية دلالتها على المصاحبة والالصوق، فالمؤمنون
تصحبهم هداية القرآن، تضيء لهم السبيل، وتثير لهم الطريق، لا
تفارقهم طرفة عين، فهي ملازمة لهم حتى يبلغوا الجنة.

ويندرج في معنى الباء هنا الاستعانة (٢)، فهم مستعينون بهذا
النور فيما هم فيه، فلولا لضلوا ولسقطوا، كما هو حال المنافقين
الذين انقطع عنهم هذا النور، فذهبوا يلتمسونه عند غيرهم، فعادوا
خائبين وانقلبوا خاسرين، يضيء من حولهم ولا يضيء لهم، وينتفع
به سواهم وليس لهم حظ سوى التعثر والتخبط في ظلمات الصراط،
كما كانت حالهم في الدنيا جزاء وفاقاً.

٢٦- قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾ (٣).

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٢٩/٢٧.

(٣) سورة المعارج، الآية: ١.

للمفسرين في الباء هنا قولان:

أحدهما: أنها بمعنى «عن»، لما روى الجوهري ^(١) عن الأخفش أنه يقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾ ^(٢)، أي: عنه؛ وذلك لأنها أتت بعد السؤال ^(٣).

الثاني: أن الفعل مضمن معنى «دعا»، كأنه قيل: دعا بعذاب واقع، من قولك: دعا بكذا، إذا استدعاه وطلبه، ومنه قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ ^(٤)، أو بتضمينه معنى اهتم واعتنى ^(٥).

وإذا علمنا أن «عن» كما قرره العلماء تدل على مجاورة ما تضاف إليه فإنه السؤال حين يتعدى بها يدل على أن المسؤول عنه مغيب عن السائل بعيد عنه، كما في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ

(١) ينظر: الصحاح ١٧٢٣/٥. هو إسماعيل بن حماد الجوهري، كان إماماً في اللغة والأدب، طاف الآفاق، فقرأ على أبي علي الفارسي والسيرافي. توفي بنيسابور سنة ٣٩٣هـ. له: الصحاح، ومقدمة في النحو. ينظر: «معجم الأدباء» ١٥١/٦، إنباه الرواة ١٩٤/١، بغية الوعاة: ١/٤٤٦.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٣) ينظر التحرير والتنوير: ١٥٥/٢٩.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٥٥.

(٥) ينظر: الكشف ١٥٦/٤، تفسير أبي السعود: ٢٩/٩، روح المعاني: ٦٨/٢٩.

السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا ﴿١﴾. أما حين يعدى السؤال بالباء، فإنه يدل على أن المسؤول عنه ملاصق للسائل قريب منه، وهو ما في قوله: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾﴾؛ مبالغة في تحقيق وقوع العذاب بالكافرين، وتأكيد لحوقه بهم وقربه منهم. وفي هذا مناداة على كمال غفلتهم وخفة عقولهم وغيبة إدراكهم، فهم لا يشعرون بمن حولهم، ولا ينتبهون لخطر محقق بهم (٢).

٢٧- قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ (٣).

في القرآن الكريم وصف لنعيم أهل الجنة، ومن ذلك وصف شرابهم، ومن ذلك هاتان الآيتان، وفي الباء في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أن الباء بمعنى «من»، قال ابن قتيبة (٤): «تقول العرب: شربت بماء كذا وكذا، أي: من ماء كذا» (٥).

(١) سورة النازعات، الآية: ٤٢.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥.

(٣) سورة الإنسان، الآيتان: ٥، ٦.

(٤) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، نزيل بغداد، كان رأساً في العربية واللغة والأيام وأخبار الناس، توفي سنة ٢٧٦هـ. له: تأويل مشكل القرآن وعيون الأخبار وغيرهما، ينظر: تاريخ بغداد: ١٧٠ / ١٠، إنباه الرواة: ١٤٢ / ٢، بغية الوعاة: ٦٢ / ٢.

(٥) تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥.



الثاني: أن الباء زائدة ^(١) ، ويعضده قراءة ^(٢) «يشربها عباد الله».

الثالث: أن الفعل «يشرب» ضمن معنى «يلتذ»، فتعدى بالباء ^(٣).

الرابع: أن الباء للإلصاق، وهي متعلقة بمحذوف، والتقدير: عينا

يشرب عباد الله خمرهم بها، أي: مصحوباً بمائها ^(٤).

وهذا القول أرجح؛ لأن الباء في إفادتها للصوصق والمصاحبة أبرزت

لنا صورة دقيقة في قربهم من العين والتصاقهم بها، ومزج خمرهم

بمائها في سعادة ومتعة لا يعلمها إلا الله، يقول الزمخشري في هذا:

«فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً - أي: يشربون

من كأس - وبحرف الإلصاق آخر؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربهم

وأول غايتهم، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى:

يشرب عباد الله الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعدل» ^(٥).

٢٨- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

يَضْحَكُونَ ۖ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۖ﴾ ^(٦).

(١) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٥/٨، تفسير أبي السعود: ٧١/٩، روح المعاني: ١٩٤/٢٩ -

١٩٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٥/٨، وهي قراءة ابن أبي عبلة.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٥/٨، تفسير أبي السعود: ٧١/٩.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٩٤/٢٩ - ١٩٥، التحرير والتنوير ٣٨١/٢٩.

(٥) الكشف: ١٩٦/٤.

(٦) سورة المطففين، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

من دأب المشركين المعاندين السخرية بالدعوة وأهلها، والاستهزاء بمجالسهم العامة بالحكمة، وكانوا يقصدون هذا، ويستغلون كل فرصة مواتية للنيل من هذا الدين وإضعاف أهله، وهذا ما دلت عليه الآيتان وما بعدهما^(١).

وقد كان للباء في قوله: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ﴾ دقة في بيان حرصهم على المرور ولصوقهم بأهل الإيمان، وتريثهم عند مجالسهم؛ ليحتكوا بهم عن قرب، فهو ليس مرور العابر، بل كانوا يتعمدون الذهاب للمؤمنين والوقوف عندهم للتحرش بهم.



(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١١/٣٠.

الفصل الثاني :

«اللام» معانيها ودلالاتها في القرآن الكريم



المبحث الأول:

الدراسة النظرية

اللام حرف كثير المعاني والأقسام، وقد أفرد لها بعض العلماء مصنفاً مستقلاً^(١).

وإجمالاً تنقسم اللام إلى قسمين: عاملة وغير عاملة^(٢).

أولاً: العاملة، وهي ثلاثة أقسام:

- ١- الجارة: ولها عدة معان، أصلها وأشهرها الاختصاص، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا﴾^(٣)، وقد نقل المرادي عن غيره ثلاثين معنى للام الجارة^(٤)، ثم قال بعد ذلك: «التحقيق أن معنى اللام في الأصل هو الاختصاص، وهو معنى لا يفارقها، وقد تصحبه معان آخر إذا تؤملت سائر

(١) وما طبع منها: اللامات للزجاجي في دمشق سنة ١٩٦٩م، واللامات لابن فارس، وقد طبع في مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٧٣م، ولعبدالهادي الفضلي كتاب مستقل في ذلك بعنوان اللامات طبعته دار القلم.

(٢) ينظر: حروف المعاني: ٧٦-٨٤، معاني الحروف: ٥١-٥٨، شرح التسهيل لابن مالك: ٣/١٤٤-١٤٩، رصف المباني: ٢٩٣-٣٢٩، البرهان: ٤/٣٣٤-٣٥٠، جواهر الأدب: ٦٩-٩٠، الجنى الداني: ١٤٣-١٧١، مغني اللبيب: ١/٢٠٧-٢٣٧.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٧٨.

(٤) ينظر: الجنى الداني: ١٤٣-٢٥١.

المعاني المذكورة، وجدت راجعة إلى الاختصاص. وأنواع الاختصاص متعددة، ألا ترى أن معانيها المشهورة التعليل، قال بعضهم: وهو راجع إلى معنى الاختصاص؛ لأنك إذا قلت: جئتكم للإكرام، دلت اللام على أن مجيئك مختص بالإكرام؛ إذ كان الإكرام سببه دون غيره^(١).

فمن هذه المعاني: الاستحقاق، والملك، والتعليل، والنسب، والتبيين، والتبليغ، وبمعنى «إلى»، وبمعنى «في»، وبمعنى «على»، وبمعنى «عن»، وغير ذلك.

٢- الجازمة: وهي لام الطلب، وتشتمل على لام الأمر، كقوله تعالى: ﴿لِنُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِنَا﴾^(٢)، والدعاء كقوله تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ﴾^(٣). والالتماس، كقولك لمن يساويك: لتكتب درسك.

٣- الناصبة على رأي الكوفيين، وعند البصريين جارة، والناصب «أن» مضمرة بعدها، وهي مسألة خلافية^(٤)، ولهذه اللام أقسام، أشهرها:

(١) الجنى الداني: ١٥.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

(٤) ينظر: الإنصاف ٢/ ٥٧٥، شرح المفصل: ١٩/ ٧.

الأول: لام التعليل، وتسمى لام «كي»، مثل قوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبِّهِمْ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾^(٢).

الثاني: لام الجحود، وهي اللام الواقعة بعد «كان» الناقصة المنفية الماضية لفظاً أو معنى، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٤).

الثالث: لام الصيرورة، وتسمى لام العاقبة، ولام المآل، ذكرها الكوفيون^(٥) والأخفش^(٦) وابن مالك^(٧)، كقوله تعالى: ﴿فَالنَّقْطَةُ مَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾^(٨). وهي عند البصريين صنف من أصناف لام «كي»^(٩).

الرابع: اللام الزائدة، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ﴾^(١٠).

(١) سورة الجن، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٣.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٤) سورة النساء، الآية: ١٦٨.

(٥) ينظر: اللامات للزجاجي ١٢٥، الجنى الداني: ١٦٠، البرهان: ٣٤٨/٤.

(٦) ينظر: البرهان ٣٤٨/٤.

(٧) ينظر: شرح التسهيل: ١٤٦/٣.

(٨) سورة القصص، الآية: ٨.

(٩) ينظر: الجنى الداني: ١٦٠، مغني اللبيب: ٢١٤/١، البرهان: ٣٤٨/٤.

(١٠) سورة النساء، الآية: ٢٦.



وكقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ثانياً: غير العاملة، ولها أقسام، أشهرها:

١- لام الابتداء، وهي اللام المفتوحة، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢)، وفائدتها تأكيد مضمون الجملة.

٢- لام جواب القسم، كقوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَمَكُمْ﴾^(٣). وقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾^(٤).



(١) سورة الأنعام، الآية: ٧١.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة يوسف، الآية: ١٠٠.



المبحث الثاني:

الدراسة التطبيقية

١- قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ

﴿١﴾ ﴿١٥٢﴾

الشكر كما يقول الراغب الأصفهاني: «ثلاثة أضرِب: شكر القلب، وهو تصور النعمة، وشكر اللسان، وهو الثناء على المنعم، وشكر سائر الجوارح، وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقه وقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٢). فيه تنبيه أن توفية شكر الله صعب»^(٣).

إن نعم الله على عباده لا تعد ولا تحصى، فكل ما في الحياة والكون نعمه وخيراته وفضائله وإحسانه، فهو أهل الثناء والحمد والشكر، وفعل «شكر» يتعدى بنفسه ويتعدى باللام^(٤)، تقول: شكرت زيدا، وشكرت لزيد. وبين العبارتين بون شاسع في المعنى والدلالة، ففي القرآن الكريم جاء متعدياً باللام، كقوله تعالى:

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٣) المفردات ٢٦٥.

(٤) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ١٨٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) ﴿١﴾، وقوله: ﴿إِنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَلَدَيْكَ﴾ (٢)، وقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ (٣).

والسر في تعديته باللام، بيان اختصاص الشكر بالله سبحانه وتأکید ذلك، بحيث لا يتعداه إلى غيره مما لا تؤديه تعدية الفعل بنفسه.

قال البطلليوسي (٤) في حديثه عن زيادة الحروف: «أن يحدث بزيادة الحرف معنى لم يكن في الكلام، وهذا النوع أظرف الأنواع الأربعة وألطفها مأخذاً وأخفاها صنعة .. وهذا النوع كثير في الكلام، يراه من منحه الله طرفاً من النظر، ولم يمر عليه معرضاً عنه، فمن ذلك قولهم: شكرت زيداً، وشكرت لزيد. يتوهم كثير من أهل هذه الصناعة أن دخول اللام هاهنا كخروجها، وليس كذلك؛ لأنك إذا قلت: شكرت زيداً، فالفعل متعد إلى مفعول

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٤.

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٤) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطلليوسي، من لحاة الأندلس. سكن بلنسية، وبها توفي سنة ٥٢١هـ. له: الاقتضاب في شرح أدب الكاتب، والمثلث في اللغة، وإصلاح الخلل. ينظر: «إنباه الرواة: ١٤١ / ٢، بغية الوعاة: ٥٥ / ٢، شذرات الذهب: ٤ / ٦٤.

واحد. وإذا قلت: شكرت لزيد، صار بدخول اللام متعدياً إلى مفعولين؛ لأن المعنى: شكرت لزيد فعله، وإنما يترك ذلك الفعل اختصاراً^(١).

ويرى ابن عاشور أن المتعدية باللام أفصح، وتسمى هذه اللام لام التبليغ ولام التبيين، قال عند آية لقمان: «وكان أول ما لقنه لقمان من الحكمة، هو الحكمة في نفسه بأن أمره الله بشكره على ما هو محفوف به من نعم الله التي منها نعمة الاصطفاء؛ لإعطائه الحكمة وإعداده لذلك بقابليته لها، وهذا رأس الحكمة؛ لتضمنه النظر في دلائل نفسه وحقيقته قبل النظر في حقائق الأشياء، وقبل التصدي لإرشاد غيره، وأن أهم النظر في حقيقته هو الشعور بوجوده على حالة كاملة، والشعور بموجوده ومفيض الكمال عليه، وذلك كله مقتض لشكر موجدته على ذلك»^(٢).

٢- قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾^(٣).

القصاص شرعه الله حياة لمن تدبر معاني الشريعة، وعقل مقاصدها الشريفة وأهدافها البعيدة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلِي الْأَلْبَبُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤) ﴿١٣٦﴾.

(١) الاقتضاب: ٣٠٨/٢.

(٢) تفسير التحرير والتنوير: ١٥٢/٢١.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٩.

وقد استثنى الله من هذه القاعدة عفو ولي دم القتيل عن القاتل، فهي منحة خاصة أهديت للقاتل، حيث استوجبت روحه الإزهاق. وفي التعبير بقوله: «من أخيه» تذكير بواجب الأخوة، وما يفرضه من التعاطف والتراحم، وصيانة الدماء والإحسان إليه، مما يفرس بذور التسامح والمودة في النفوس، والتنازل عن الحقوق في سبيل تقوية أواصر المحبة بين المؤمنين.

وفي الأسلوب القرآني ﴿فَمَنْ عَفَى﴾ دلالة الوافية في بيان هذا المعنى، فإيثار هذا الفعل «عفا» يؤذن بمراعاة التيسير والسماحة، وهي من خلق الإسلام، فهذا تأكيد للترغيب^(١).

ثم تعديته باللام مع أنه يعدى بـ«عن»^(٢) إلى الجاني كقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾^(٣)، وإلى الذنب كما تقول: عفوت عن ذنبي، إنما عدي باللام، كما قال الزمخشري؛ لأنه «تعدى إلى الذنب والجاني معاً، قيل: عفوت لفلان عما جنى، كما تقول: غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه، وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل: فمن عفى له عن جنايته، فاستغنى عن ذكر الجناية»^(٤) وما قاله

(١) ينظر: تفسير التحرير والتنوير: ١٤١/٢.

(٢) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٢٤٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٤) الكشف: ٢٣٢/١.



الزمخشري في الآية ذكره غيره من المفسرين القدماء والمحدثين^(١)،
 وذهب بعضهم إلى أن «عفا» بمعنى «ترك»، لكن رده كثير من
 المفسرين بأنه لم يثبت في اللغة «عفا الشيء» بمعنى «تركه» وإنما
 يقال أعفاه، قال الزمخشري: «فإن قلت: هلا فسرت «عفا» ب«ترك»
 حتى يكون (شيء) في معنى المفعول به؟ قلت: لأن عفا الشيء بمعنى
 تركه ليس يثبت ولكن «أعفاه» ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام:
 وأعفوا للحي»^(٢).

ثم علل أيضاً بقوله: «عبارة قلقة في مكانها، والعفو في باب
 الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة واستعمال
 الناس، فلا يعدل عنها إلى أخرى نابية عن مكانها، وترى كثيراً
 ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه
 للمشكل من كلام الله على اختراع لغة، وادعاء على العرب ما لا
 تعرفه، وهذه جراءة يستعاذ بالله منها»^(٣).

(١) ينظر: التفسير الكبير ٥/٥٣، تفسير أبي السعود ١/١٩٥، روح المعاني: ٥٠/٢، تفسير
 المنار: ١٢٩/٢.

(٢) الكشف: ٢٣٢/١.

(٣) وانظر: تفسير أبي السعود ١/١٩٥، روح المعاني: ٥٠/٢، تفسير المنار: ١٢٩/٢.



٣- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ
ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾^(١).

فعل النداء يتعدى بـ«إلى» ويتعدى باللام، فتعديته بـ«إلى»؛ للدلالة على انتهاء الغاية، وتعديته باللام؛ للدلالة على الاختصاص، لذا فإن كثيراً من المفسرين والمُعربين^(٢) يرون أن «إلى» واللام يتناوبان مع الفعل دون تنصيب معظمهم على سبب إثار الفعل تارة بـ«إلى» وتارة باللام، مع أن للفعل مع كل واحد منهما دلالة خاصة، قال ابن القيم: «إن الفعل المعدى بالحروف المتعددة لا بد أن يكون له من كل حرف معنى زائد على معنى الحرف الآخر»^(٣).

فجاءت تعدية الفعل باللام في قوله تعالى: ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾؛ لبيان اختصاص المناداة للإيمان؛ إظهاراً للاهتمام به ووفور الرغبة في تحقيقه^(٤)، وليس المقصود انتهاء الغاية إليه؛ لأنه أول ما يدعى إليه العبد، ويطلب منه بعد ذلك الترقى في درجاته؛ كي يبلغ كمال الإيمان، وهو أمر عزيز المنال.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٣.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/ ٢٥٠، مشكل إعراب القرآن: ٢/ ٧٩٢، الكشف

١/ ٤٨٩، تفسير أبي السعود ٢/ ١٣٢، فتح القدير: ١/ ٤١١.

(٣) بدائع الفوائد: ٢/ ٢٠-٢١.

(٤) ينظر: الكشف: ١/ ٤٨٩.

وكذا في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١)، فحين كان النداء للمؤمنين خاصة، ولصلاة خاصة في يوم خاص، لها في شريعة الإسلام المكانة الخاصة، جاءت اللام تعبيراً عن اختصاصها بالنداء، والسعي من أجلها لنيل فيوض الرحمة، والتعرض لنفحات المولى جل وعلا.

وفي مقابل هذا نرى تعدية الفعل بـ«إلى» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ (٢)، فهو نداء لكل سامع، وإلى عموم الصلوات، تحصيلاً لفضل الجماعة، ولما لم يكن في الآية بيان لمزية صلاة معينة وتخصيصها بثواب، وإنما المقصود بيان ما انطوت عليه سرائر هؤلاء الأقوام من الاستهزاء والسخرية بالصلاة، عدي الفعل بـ«إلى».

٤- قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ خَنِيفًا﴾ (٣).

هذه من مقالة إبراهيم لقومه، حيث جعل وجهته وأسلم زمام نفسه لله رب العالمين، إله الأولين والآخرين.

(١) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.



وفي تعدية الفعل باللام دون «إلى» نكتة بلاغية ولطيفة بيانية، يقول ابن عاشور: «وفعل وجّه» يتعدى إلى المكان لمقصود بـ«إلى»، وقد يتعدى باللام إذا أريد أنه الظرف لأجل ذلك الشيء المقصود مراعى إرضاءه وطاعته، كما تقول: توجهت للحبيب، ولذلك اختير تعديه هنا باللام؛ لأن في هذا التوجه إرضاء وطاعة»^(١).

وقد ذهب الرازي إلى أن اللام في الآية للتعليل^(٢)، وردّ هذا الشيخ محمد رشيد رضا بأن كلامه يصح لو كان التوجه إلى غير الله تعالى توسلاً إليه، كالتوجه إلى الكواكب وغيرها لأجلها، أما مع الله فالله غني عن عباده، لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة المطيعين^(٣).

ومثل هذه الآية الكلام في الآيتين التاليتين:

٥- قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤)، وفي سورة لقمان يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^(٥).

(١) التحرير والتنوير: ٣٢٣/٧-٣٢٤.

(٢) ينظر: التفسير الكبير: ٥٧/١٣.

(٣) ينظر: تفسير المنار: ٥٦٣/٧.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٥) سورة لقمان، الآية: ٢٢.



فما الفرق بين تعدية الفعل في الأولى باللام، وفي الثانية بـ«إلى»؟ يقول الزمخشري: «فإن قلت: ما باله عدي بـ«إلى» وقد عدي باللام في قوله: (بلى من أسلم وجهه لله)؟ قلت: معناه مع اللام أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالماً لله، أي خالصاً له، ومعناه مع «إلى» أنه أسلم إليه نفسه، كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه، والمراد: التوكل عليه والتفويض إليه»^(١).

لكن لم أوتر الفعل في الأولى باللام دون «إلى»، وعلى العكس في الثانية؟ إن آية البقرة جاءت بعد الحديث عن النسخ: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢). وقد أثير حول هذه المسألة جدل وخصومة من أجل تشكيك المؤمنين في عقيدتهم، وزعزعة الإيمان في قلوبهم، فجاء تعدية الفعل باللام المشعرة بالإذعان التام والانقياد الكامل والاستسلام لأمر الله.

أما آية لقمان، فقد جاءت بعد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾^(٣) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولئك ان

(١) الكشف: ٢٣٥/٣.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾^(١). فسياق الآيتين فيه ذكر نعمة الله وإفضاله عليهم بما سخر لهم في هذا الكون وأسبغ عليهم نعمه، وذلك يستوجب تفويض الأمور إليه، والتوكل عليه في صغير الأمور وكبيرها، ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ولذلك جاءت الآية بعد ذلك ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾.

٦- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٢).

للمفسرين في اللام في قوله: «ليمكروا فيها» قولان:

أحدهما: أنها لام العاقبة والسيورة، فإن المجرمين إذا صاروا أكابر بلد وزعماء، لا يمكنهم أن يحافظوا على مكانتهم فيه إلا بالمكر والخداع، فيصير أمرها إليهم^(٣).

الثاني: أنها لام التعليل^(٤)، وهذا هو الأولى، ففي هذا سخرية القرآن من هؤلاء الذين يبيتون المكر ويحكمون الكيد، ويتآمرون على دعاة الخير، كل هذا لغاية

(١) سورة لقمان، الآيتان: ٢٠، ٢١.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٣.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٩٤/٨، تفسير المنار: ٣٥/٨.

(٤) ينظر الحاشية السابقة.



أرادها الله ليعلو الحق، ويصقل معدن أتباعه.

فمكر الأعداء في الحقيقة مكر بأنفسهم، وتربصهم دوائر السوء إنما تكون عليهم من حيث لا يشعرون، ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

يقول ابن عاشور: «واللام في «ليمكروا» لام التعليل، فإن من جملة مراد الله تعالى من وضع نظام وجود الصالح والفساد، أن يعمل الصالح للصالح، والفساد للفساد، والمكر من جملة الفساد. ولام التعليل لا تقتضي الحصر، فله تعالى في إيجاد أمثالهم حكم جمة، منها هذه الحكمة، فيظهر بذلك شرف الحق والصالح ويسطع نوره، ويظهر اندحاض الباطل بين يديه بعد الصراع الطويل»^(١).

٧- قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أُولَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلَيْلِبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾^(٢).

الحديث عن اللام في قوله: «ليردوهم وليلبسوا» كالحديث في اللام السابقة، فالملفصرين فيها قولان:

أحدهما: أنها لام العاقبة والصيرورة، إن كان المراد بالشركاء

(١) التحرير والتنوير: ٤٩/٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٧.



الأصنام وسدنتها، أي: زينا لهم ذلك قصداً لنفعهم، فأنكشف الأمر عن أضرار جهلوها، وويلات غفلوا عنها^(١).

الثاني: أنها لام التعليل إن كان المراد بالشركاء الجن، أي: الشياطين^(٢)؛ لأن الإيقاع في الشر من طبيعة الوسواس، إذ يحسن الشر ويحببه، فينساق إليه المشرك من غير قصد إلى كون ما يدعونهم إليه مردياً وملبساً، فإنهم أولياؤهم لا يقصدون إضرارهم، لكنهم لما دعوهم إلى أشياء ضارة وسيئة، كان تزيينهم معللاً بالإرداء والإلباس وإن لم يفطنوا له، وأقرب هذا الإفساد إفساد فطرتهم بما ذهب من قلب الوالدين من الرأفة والرحمة، بل انقلبت إلى منتهى القسوة والوحشية، حتى ينحر الوالد ريحانة قلبه وثمره فؤاده، ويدفن ابنته الضعيفة وهي حية بيده، هذا هو الإرداء والانحطاط، أما لبس دينهم عليهم فقد اشتبه عليهم ما كانوا يدعونه من دين إبراهيم بما ابتدعوه من هذه البدع والضلالات. وقيل: ليوقعوهم في دين ملتبس مشتبّه لا تتجلى فيه حقيقة، ولا تخلص فيه هداية^(٣).

(١) ينظر: الكشف: ٥٤/٢، تفسير أبي السعود: ١٨٩/٣، التحرير والتنوير: ١٠٤/٨.

تفسير المنار: ١٢٦/٨.

(٢) ينظر الحاشية السابقة.

(٣) ينظر تفسير المنار: ١٢٦/٨.

٨- قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (١).

للمفسرين في اللام في قوله «سقناه لبلد ميت» ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها لام العلة، أي لأجل بلد ميت، وفي هذه اللام دلالة على العناية الربانية بذلك البلد، فلذلك عدل عن تعدي «سقناه» بحرف «إلى» (٢).

الثاني: أنها لام التبليغ، كقولك: سقت لك مالا، أي: أوصلته لك وأبلغتكه (٣).

الثالث: أن اللام بمعنى «إلى»، كما جاء تعديتها في قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسْقِنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَخْيَيْنَاهُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ (٤) (٥).

والذي أراه أنها لام التعليل، أي: لأجل منفعته وسقيه، لكن ما السر في تعدي الآية الأخرى بـ«إلى»؟ ذهب أبو جعفر بن الزبير الثقفي

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٢) ينظر الكشف: ٨٤/٢، روح المعاني: ١٤٦/٨، التحرير والتنوير: ١٨٣/٨.

(٣) ينظر: البحر المحيط: ٣١٧/٤.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٩.

(٥) تفسير المنار: ٤٦٧/٨.

إلى أن هذا من قبيل التناسق اللفظي والإيجاز والإطناب، قال - رحمه الله: «ولما استدعى لفظ (سقناه) المكان المسوق إليه، وإنما يصل إليه بلام الجر أو «إلى»، عدي في الإعراب بلام الجر، ف قيل «لبلد»؛ ليناسب المجرور فعله الذي استدعاه في الوجيهة، ولما طال الفعل في الآية الأخرى بما لزمه من حرف التعقيب، ناسبه تعديته بـ«إلى» إسهاباً مقابل إسهاب، وإيجازاً مقابل إيجاز^(١).

فلما جاء الفعل في آية الأعراف غير مسبوق بفاء التعقيب، أوتر في تعديته اللام؛ ليقابل الإيجاز بالإيجاز؛ لأنها على حرف واحد. وفي آية فاطر جاء الفعل بعد الفاء، فعدي الفعل بـ«إلى»، وهي على ثلاثة أحرف، ليقابل الإسهاب بالإسهاب.

هذا من حيث اللفظ، أما من حيث المعنى، فإن آية الأعراف جاءت بعد آيات فيها الرحمة والدعاء والحث عليه، يقول تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾^(٢)، مما يستدعي إرسال الله تعالى الرياح لسقي قوم استجابة لدعائهم وصلاتهم؛ رحمة منه وإحساناً.

أما آية فاطر، فقد جاءت بعد آيات فيها التحذير من الدنيا

(١) ملاك التأويل: ٥٠٧/١-٥٠٨.

(٢) سورة الأعراف، الآيةان: ٥٦، ٥٥.

والشيطان، وتقسيم الناس إلى مهتدين وأشقياء، فالأولون لهم جنات عدن، والآخرين لهم نار تلظى، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْفُرُودُ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُذَّابٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ (١)، فجاءت «إلى» مشيرة إلى نهاية رحلة الرياح، ونهاية موت الأرض؛ لتبدأ حياة أخرى بهذا الماء. وكذا الإنسان سيحييه الله بعد زمن في الوقت الذي يأذن الله فيه بنهاية الدنيا، ثم البعث والنشور.

٩- قال تعالى: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦٢﴾ (٢).

هذا خطاب من نوح - عليه السلام - لقومه، وهو خطاب كل رسول لقومه، ولا شك في إخلاص المرسلين النصيحة لأقوامهم واختصاصهم بها.

وأصل النصيح في اللغة الخلوص، يقال: نصحت العسل، إذا

(١) سورة فاطر، الآيات: ٥-٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

خلصته من الشمع، وقيل: مأخوذ من نصح الرجل ثوبه، إذا خاطه. شبهوا فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بفعل الخياط فيما يسد من خلل الثوب^(١)، وفعل «نصح» يتعدى بنفسه ويتعدى باللام^(٢)، ولم يجئ في القرآن إلا معدى باللام؛ لأن الناصح أخلص النصيحة للمنصوح حقيقة.

قال الزمخشري^(٣): «وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة، وأنها وقعت خالصة للمنصوح له، مقصوداً به جانبه لا غير، ولا نصيحة أمحض من نصيحة الله تعالى ورسله - عليهم السلام»^(٤).

كما ذكر أبو جعفر بن الزبير الثقفي^(٥) وابن عاشور^(٦) أن التعبير بلفظ المضارع «أنصح»، له دلالة في أنه لا يزال في النصح لهم، وأنه غير تاركه من أجل كراهيتهم أو بذاءتهم، هذا ما يفيد

(١) ينظر: لسان العرب: ٦١٥/٢، «نصح»، القاموس المحيط: ٢٥٢/١، «نصح» المفردات: ٤٩٤.

(٢) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٣٨٤.

(٣) الكشف: ٨٦/٢.

(٤) وانظر: تفسير أبي السعود: ٢٣٦/٣، التحرير والتنوير: ١٩٤/٨، روح المعاني: ١٥٢/٨.

(٥) ينظر: ملاك التأويل: ٥٢٧/١.

(٦) ينظر التحرير والتنوير: ١٩٤/٨.

المضارع الدال على التجدد والحدوث، كما يفصح عنه قوله تعالى:

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۖ ﴾^(١).

١٠- قال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ۖ ﴾^(٢).

إن الإيمان بالقضاء والقدر له أثره في تثبيت المؤمن وطمأنة نفسه، فما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ومجيء اللام في «لنا» الدالة على الاختصاص تبرز بوضوح وتكشف بجلاء عقيدة المؤمن ورؤيته للحياة والموت فإما النصر وإما الشهادة، فلا يمانه الراسخ وعقيدته الثابتة يقبل السراء والضراء، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن^(٣). قال الألوسي: «أي ما اختصنا بإثباته وإيجابه من المصلحة الدنيوية أو الآخروية، كالنصرة أو الشهادة المؤدية للنعيم الدائم، فالكتب بمعنى التقدير، واللام للاختصاص»^(٤).

١١- قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۖ ﴾^(٥).

(١) سورة نوح، الآية: ٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥١.

(٣) ينظر الكشاف: ٢/ ١٩٥، التحرير والتنوير: ١٠/ ٢٢٣.

(٤) روح المعاني: ١٠/ ١١٥.

(٥) سورة يونس، الآية: ٣٥.

الفعل «هدى» يقول عنه ابن القيم: «متى عدي بـ«إلى»، تضمن الإيصال إلى الغاية المطلوبة، فأتى بحرف الغاية. ومتى عدي باللام تضمن التخصيص بالشئ المطلوب، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين، فإذا قلت: هديته لكذا، فهم معنى: ذكرته له وجعلته له وهيأته ونحو هذا، وإذا تعدى بنفسه، تضمن المعنى الجامع لذلك كله، وهو التعريف والبيان والإلهام»^(١).

وقد ذهب ابن قتيبة^(٢) والبطلاني^(٣)، ونقله ابن منظور^(٤) عن قوم بأن اللام و«إلى» معناهما واحد، تقول: هديته للحق، وهديته إلى الحق، هذا من تداخل معاني الحرفين؛ لما بين الحرفين من التداخل والتضارع، فموضوعهما واحد.

والصواب أن الفعل «هدى» له دلالة الخاصة حين يتعدى باللام أو بـ«إلى» أو بنفسه، فكل حرف يخلع عليه معنى مغايراً للآخر، كما ذكر ذلك ابن القيم فيما سبق.

(١) بدائع الفوائد: ٢١ / ٢.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٢.

(٣) ينظر: الاقتضاب: ٢٨٦ / ٢ - ٢٨٧.

(٤) لسان العرب: ٣٥٤ / ١٥. وابن منظور: هو أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي المصري، خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة، وبها توفي سنة ٧١١ هـ. له: لسان العرب، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر. ينظر: الدرر الكامنة: ٢٦٢ / ٤، بغية الوعاة: ٢٤٨ / ١، شذرات الذهب: ٢٦ / ٦.

ففي الآيات التي عدي فيها الفعل باللام، كآية السابقة ﴿يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(٢). دل الفعل على معنى التوفيق، وتهيئة القلب والنفس للسعي من أجل هذه الغاية، انبثاقاً من معنى الاختصاص باللام. ولا يملك توجيه القلوب للحق وتهيئتها للعمل به، والمسابقة في ميدانه إلا الله سبحانه، فقد أقام الأدلة والحجج، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ووفق من شاء من عباده للتدبر والنظر^(٣).

أما الآيات التي عدي فيها الفعل بـ«إلى»، كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾^(٥). وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦). وغير ذلك، ففيها دلالة على الإرشاد والدلالة، لكنهم لا يختصون ولا يملكون الهداية لأحد^(٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ١٤٣/٤، فتح القدير: ٢٣/١، التحرير والتنوير: ١٦٢/١١، تفسير المنار: ٣٦١-٣٦٢.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣٥.

(٥) سورة النازعات، الآية: ١٩.

(٦) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٧) ينظر: تفسير المنار: ٣٦١-٣٦٢.



لأجل هذا وغيره غاير القرآن الكريم في تعدية الفعل في آية واحدة، مرة باللام، ومرة بـ«إلى»، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يقول الزمخشري: «ومعناه: أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول، وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم، وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع، فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرافهم، كالملائكة، والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله؟»^(١).

١٢- قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾^(٢).

اختلف المفسرون في اللام في قوله «ليضلوا» على أقوال^(٣):

أحدها: أن اللام للعاقبة والمآل، والمعنى: لتكون عاقبة هذا العطاء إضلال عبادك عن سبيلك الموصلة إلى مرضاتك باتباع الحق والعدل والعمل الصالح؛ لأن الزينة سبب

(١) الكشاف: ٢/٢٣٧.

(٢) سورة يونس، الآية: ٨٨.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ١/٤٧٧، تفسير الطبري: ١١/١٠٨، البيان في غريب إعراب القرآن: ١/٤٢٠، الكشاف: ٢/٢٥٠، المحرر الوجيز: ٩/٨٣-٨٤، التفسير الكبير: ١٧/١٥٥-١٥٨، تفسير أبي السعود: ٤/١٧٢، التحرير والتنوير: ١١/٢٦٨، تفسير المنار: ١١/٤٧٢-٤٧٣.



الكبر والخيلاء والطفیان على الناس، وكثرة الأموال
تمكنهم من ذلك، وتخضع رقاب الناس لهم، فما بعد
هذه اللام أثر وغاية لما قبلها؛ وذلك استدراج من الله
لهم، وأخذهم بغتة وهم لا يشعرون.

الثاني: أن اللام للتعليل، والمعنى: فعلت ذلك استدراجاً لهم
وإملاءً، فكان الإيتاء كي يضلوا عن سبيلك، وتفتنهم
فيه عقوبة منك لهم.

الثالث: أنها لام الدعاء بمعنى الأمر، روي هذا عن الحسن ^(١)؛
وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبياناته عرضاً
مكرراً، وردد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً،
وحذرهم عذاب الله وانتقامه، ورآهم لا يزيدون إلا
كفراً وعناداً وعلم بالتجربة وطول الصحبة أن إيمانهم
كالمحال، أو علم ذلك بوحي من الله، اشتد غضبه
عليهم وكره حالتهم، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا
يكون غيره، كما تقول: لعن الله إبليس، وأخزي الله
الكفرة، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك.

(١) هو الحسن بن يسار البصري، من أفاضل التابعين، إمام أهل البصرة وعالمهم وفقههم،
وبها توفي سنة ١١٠هـ، ينظر: «وفيات الأعيان»: ٢/٦٩، حلية الأولياء: ٢/١٣١، سير
أعلام النبلاء: ٤/٥٦٣.

الرابع: أن يكون على حذف همزة الاستفهام، والتقدير: أليضلوا عن سبيلك آتيتهم زينة وأموالاً؟ تقريراً للشناعة عليهم، وتعجباً من صنيعهم.

الخامس: تأويل معنى الضلال بالهلاك، أي: ليهلكوا.

ولعل الأقرب عندي أنها لام العاقبة والمآل، وهذا من أدب موسى وأخيه مع ربهما جل وعلا، وتسليماً لأمر الله وقضائه، ووعياً لحكمة الله في استدراج خلقه وأخذهم بهذه النعم، وإملاءً للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.

١٣- قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١).

كل ما في الكون دلائل على قدرة الله وألسن ناطقة بوحدانيته وربوبيته، ومن ذلك سير الشمس والقمر والكواكب الأخرى في نظام متسق، وسير متوازن لا تضاد بينها، ولا اضطراب أو تصادم في جريها.

وفعل «جری» يتعدى باللام وب«إلى»^(٢)، ولهما شواهد كثيرة في القرآن، فمن تعدية «جری» باللام الآية السابقة، وكذا قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾^(٣).

(١) سورة الرعد، الآية: ٢، وسورة فاطر، الآية: ١٣، وسورة الزمر، الآية: ٥.

(٢) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف ٣٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٨.



ومن تعدية «جری» بـ«إلى» قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١).

وقد ذهب ابن قتيبة^(٢) والآلوسي^(٣) إلى أن اللام في الآيات السابقة بمعنى «إلى»، كما تقول: هو يجري لغايته، وإلى غايته.

لكن استنكر الزمخشري هذا الرأي قائلاً: «فإن قلت: يجري لأجل مسمى، ويجري إلى أجل مسمى، أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن. ولكن المعنيين، أعني: الانتهاء والاختصاص، كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض؛ لأن قولك: يجري إلى أجل مسمى، معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك: يجري لأجل مسمى، تريد: يجري لإدراك أجل مسمى، تجعل الجري مختصاً بإدراك أجل مسمى»^(٤).

وأكثر المفسرين على أن اللام بمعنى التعليل، أي: لإدراك غاية تنتهي إليها، وهي المدة التي قدرها الله لدوام سيرها، وهي مدة بقاء النظام الشمس الذي إذا اختل انتشرت العوالم وقامت القيامة^(٥)، لكن ما السر الذي من أجله عدي الفعل في الآيات الأولى باللام،

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٩.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٢.

(٣) ينظر: روح المعاني: ٨٩/١٣.

(٤) الكشف: ٢٣٧/٣.

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود: ٣/٥، التحرير والتنوير: ٢٣/١٣.



وفي آية لقمان بـ«إلى»؛ لقد كشف عن هذا السر البلاغي في تغاير تعدية الفعلين في الآيات السابقة أبو جعفر بن الزبير الثقفي والخطيب الإسكافي^(١)، أما أبو جعفر فجعله من التناسق اللفظي، قابل الإيجاز في صدر الآية بالإيجاز في آخرها، وكذا الإسهاب بالإسهاب، قال - رحمه الله: «إن آية لقمان تقدمها التنبيه على الاعتبار بها بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾، ثم قال: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فعطف بواو النسق المقتضية الجمع بحسب ما اقتضاه مقصوده، فناسب طوله الجر بما يناسبه مما لا يخرج عن معنى اللام الجارة، وهو «إلى»، ولما بنيت الآيتان بعد على إيجاز ليس في آية لقمان، ناسبه الجر باللام؛ اكتفاء بما يحرز المعنى المقصود ويناسب التركيب، وورد كل على ما يناسب أتم المناسبة»^(٢).

أما الخطيب الإسكافي، فكان أكثر دقة في كشف النكته البلاغية في ذلك، حيث قال: «وإنما خص ما في سورة لقمان بـ«إلى» التي للانتهاء، واللام تؤدي معناها؛ لأنها تدل على أن جريها لبلوغ

(١) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله، المعروف بـ«الخطيب الإسكافي» من أهل أصبهان من الأدباء الكتاب. توفي سنة ٤٢٠هـ، له: مبادئ اللغة، ولطف التدبير، ودرة التنزيل، وغيرها. ينظر: «معجم الأدباء: ٢١٤/١٨، بغية الوعاة: ١٤٩/٢».

(٢) ملاك التأويل: ٩٤٣-٩٤٤، بتصرف واختصار.

الأجل المسمى؛ لأن الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها ﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بِعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ، وبعدها ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُؤَارَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوُا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ ، فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت، وسائل المواضع التي ذكرت فيها اللام إنما هي في الإخبار عن ابتداء الخلق، وهو قوله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السموات والأرض، وابتداء جري الكواكب، وهي إذ ذاك تجري لبلوغ الغاية فاختص ما عند ذكر النهاية بحرفها، واختص ما عند الابتداء بالحرف الدال على العلة التي يقع الفعل من أجلها»^(١).

إن تعدية الفعل باللام ينبئ عن غرض خاص للشمس والقمر، فهما في جري وسعي لا يفتران، في حركة منتظمة دؤوب؛ لتدرك غايتها بعد ذلك، وتعديته بـ«إلى» ينبئ عن توقف حركتهما ببلوغهما هذا الأجل والمستقر؛ وذلك يلائم حديث الآخرة، إيداناً ببدء حياة أخرى وعالم آخر.

(١) درة التنزيل: ٣٧٤-٣٧٥.

١٤- قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾^(١).

اللام في قوله: «أحسنتم لأنفسكم» للاختصاص، أي: إن نفع هذا الإحسان من الثواب والأجر راجع لكم مختص بكم، وجاء على طريقة التجريد، بأن جعلت نفس المحسن كذات أخرى يحسن إليها^(٢).

أما اللام في قوله: ﴿وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، فللمفسرين والمعرّبين أقوال في معناها^(٣).

أحدها: أنها بمعنى «على»؛ حملاً على نظائره في القرآن، كقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٤)، وقوله: ﴿فَمَنْ أَهْتَكَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾^(٥)، أي: فالإساءة عليها؛ لما يترتب على ذلك من العقاب، وعبر باللام مشاكلة لما قبلها.

الثاني: أنها بمعنى «إلى»، أي: فإساءتها راجعة إليها، كقوله

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٣٩/٢، روح المعاني: ٢٤/١٥، التحرير والتنوير: ٣٤-٣٥.

(٣) ينظر: الحاشية السابقة، مع: التبيان في إعراب القرآن: ٨١٣/٢، الإتيان: ٥٤١/١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٥) سورة الزمر، الآية: ٤١.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي كَانَتْ لِلرَّاسِخِينَ﴾ ^(١)، أي: أوحى إليها.

الثالث: أنها للاستحقاق، كهي في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ^(٢).

الرابع: أنها للنفع، كالأولى على سبيل التهكم.

الخامس: أنها للاختصاص على بابها، وهذا هو الراجح عندي، فقد جاءت الآية بعد الحديث عن بني إسرائيل؛ لتدل على أن إحسانهم أو إساءتهم - والخطاب يشمل غيرهم - لأنفسهم، لا ينتفع بأعمالهم ولا يضر بها غيرهم.

١٥ - قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِّنَ الْحَقِّ وَأَنَّى يُؤْتَىٰ الْفَقِيرَ حَقَّ حَقِّهِ﴾ ^(٣)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٤)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٥)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٦)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٧)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٨)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(٩)، ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا عَلَيْهِمْ غَافِلِينَ﴾ ^(١٠).

هذه الآية يستدل بها النحويون ^(٤) على مجيء اللام بمعنى «على»؛

(١) سورة الزلزلة، الآية: ٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٣) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧-١٠٩.

(٤) ينظر: الجنى الداني: ١٤٦، مغني اللبيب: ٢١٢/١، رصف المباني: ٢٩٧، الإتقان:

لأنه كما قال البطليوسي: «جرت العادة بأن يقال: سقط على رأسه وعلى صلاه أو قفاه، وإنما جاز استعمال اللام ههنا؛ لأنه إذا سقط على عضو من أعضائه، فقد حصل التقدم لذلك العضو على كل ما تبعه من بقية الأعضاء، فإذا قال سقط لفيه، فكأنه قال: سقط مقدماً لفيه»^(١)، هذا ما يراه البطليوسي سبباً في استعمال اللام مكان «على». وذهب الزمخشري إلى أنها لام الاختصاص، مفسراً معناها بقوله: «فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت: خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه؟ قلت: معناه جعل ذقنه ووجهه للخروج واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص»^(٢)، ويرى أبو السعود أن إثارة اللام الدالة على الاختصاص، تعليل لما يفهم من قوله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ من عدم المبالاة بذلك، أي: إن لم تؤمنوا به، فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم، ويجوز أن يكون تعليلاً لـ «قل» على سبيل التسلية لرسول الله ﷺ كأنه قيل: تسل بإيمان العلماء عن إيمان الجهلة، ولا تكثرث بإيمانهم وإعراضهم^(٣)، وأجرى ابن عاشور استعارة تبعية في اللام بقوله: «وأصل هذه اللام أنها استعارة تبعية،

(١) الاقتضاب ٢/٢٧٦.

(٢) الكشف: ٢/٤٧٠.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٥/١٩٩.



استعير حرف الاختصاص لمعنى الاستعلاء؛ للدلالة على مزيد التمكن، كتمكن الشيء بما هو مختص به»^(١).

إن الخار على ذقنه أو وجهه ينكب على الأرض بلا وعي، لا يملك تقديم عضو أو تأخير، بخلاف الساجد لله شكراً وتعبداً مما في نفسه من تعظيم الله وإجلاله، فتقبل نفسه على السجود، جاعلاً ذقنه لاصقاً مختصاً بالأرض في أقرب حال لربه، لذا فقد نهى الله عباده المؤمنين عن الانكباب على الشيء بلا وعي، والتردي إليه دون شعور، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّو عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾^(٢).

١٦- قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾^(٣).

صحب موسى - عليه السلام - الخضر، فرأى منه عجائب، من خرق السفينة، ثم قتل الغلام، ثم بناء الجدار لتلك القرية التي لم يضيفهم أهلها، فكانت منه معارضة في المرة الأولى بعد أن عاهد الخضر على الصبر والتثبت، ثم عاد مرة أخرى فعاهده، فلما قتل النفس الزكية بغير نفس، غضب موسى لهذا أشد الغضب، فكان جواب الخضر له مغايراً لما أجابه في الأول، حيث قال: ﴿قَالَ أَلَمْ

(١) التحرير والتنوير: ١٥/٢٣٣-٢٣٤.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٧٢.

أَقْلَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١﴾ ، فَلَمَّ جَاءَتِ اللَّامُ فِي الْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ
دُونَ الْأُولَى؟

ذهب الزمخشري ^(٢) وأبو السعود ^(٣) والإسكافي ^(٤) والآلوسي ^(٥)
إلى أن اللام زيدت عتاباً لرفض موسى - عليه السلام - الوصية
بالصبر والتثبت في المرة الثانية، فلما لم يرعو بالتذكير، زاد في
النكير عليه في المرة الثانية، فكأنه قال: ألم يكن خطابي لك
دون من سواك، لهذا جاءت اللام في الثانية دون الأولى التي لم
تؤكد حجة الخضر فيها كتأكدها في الثانية. وهذا يتفق مع
القاعدة المشهورة: «أن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في
المعنى» ^(٦)، فلما كان إنكار موسى في الأولى أقل، ولم تقم عليه
الحجة كحاله في المرة الثانية، مع استنكاره الشديد، كما يدل
قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ، جاءت اللام لتوحي بدلالتها على
زيادة في المعنى الذي اقتضاه المقام والحال ^(٧).

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٥.

(٢) ينظر: الكشف: ٤٩٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٣٦/٥.

(٤) ينظر: درة التنزيل: ٢٨٥.

(٥) ينظر: روح المعاني: ٢/١٦.

(٦) ينظر: الخصائص: ٢٦٤-٢٦٩/٣.

(٧) ينظر: ملاك التأويل: ٧٨٩/٢.

ويرى ابن عاشور أن هذه اللام لام التبليغ، وهذا يؤكد بدقة ما سبق حيث قال: واللام في «لك» لام التبليغ، وهي التي تدخل على اسم أو ضمير السامع لقول أو ما في معناه، نحو: قلت له، وأذنت له، وفسرت له، وذلك عندما يكون المقول له الكلام معلوماً من السياق، فيكون ذكر اللام لزيادة تقوية الكلام وتبليغه إلى السامع، ولذلك سميت بلام التبليغ، ألا ترى أن اللام لم يحتج لذكره في جوابه أول مرة ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، فكان التقرير والإنكار مع ذكر لام تعدية القول أقوى وأشد^(١).

١٧- قال تعالى: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾^(٢).

الفعل «عرض» يتعدى باللام وب«على» وبنفسه^(٣)، يقول الراغب: وعرضت الشيء على البيع، وعلى فلان، ولفلان، نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًا﴾^(٥)، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ﴾^(٦)، وقوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾^{(٧)(٨)}، فما السر في تعدية الفعل باللام في هذه الآية؟

(١) التحرير، والتنوير: ٥/١٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٠.

(٣) ينظر: معجم الأفعال المتعدية بحرف: ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٥) سورة الكهف، الآية: ٤٨.

(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

(٧) سورة الكهف، الآية: ١٠٠.

(٨) المفردات: ٣٣٠.

من المفسرين من يرى أن هذا من تناوب حروف الجر، فاللام بمعنى «على» في الآية سواء بسواء^(١)، لكن الصحيح أن اللام في الآية للاختصاص، والمعنى: عرضنا جهنم، أي أبرزناها وأظهرناها لأجلهم خاصة حين يشرفون عليها وقد سيقوا إليها، فيعلمون أنها المهيئة لهم، فشبه بذلك العرض تهكماً بهم؛ لأن العرض إظهار ما فيه رغبة وشهوة، ولو كانت التعدية بـ«على» في الآية، لفهم منه إلقاءهم في النار وإحراقهم بها، فكانت التعدية باللام لإبراز النار وإظهارها لهم، وهو ضرب من التعذيب النفسي لهم، وإلقاء الرعب والخوف منها قبل دخولها^(٢).

١٨- قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ (٦٥)^(٣).

من أنواع الصبر: الصبر على طاعة الله، واحتساب الثواب من الله وحده. وفي الآية هنا عدي الفعل باللام «واصطبر لعبادته»، مع أنه عدي في موضع آخر بـ«على»، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (١٣٢)^(٤)،
فما السر في مغايرة هذه التعدية؟

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٥٦/٦.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ١٥٦/٦، روح المعاني: ٤٥/١٦، التحرير والتنوير: ٤٢/١٦.

(٣) سورة مريم، الآية: ٦٥.

(٤) سورة طه، الآية: ١٣٢.



يكاد يجمع من تكلم^(١) في هذا مع اختلاف يسير في الألفاظ على أن السبب في ذلك: أن العبادة لما جعلت بمنزلة القرن^(٢)، في قولك للمحارب: اصطبر لقرنك، أي: أثبت له فيما يورد عليك من شدته، أريد أن العبادة تورد عليك شدائد ومشاقاً، فاثبت لها ولا تهن، فالعبادة لها مراتب كثيرة، تحتاج إلى مجاهدة النفس، وقد يغلب بعضها بعض النفوس، فتستطيع الصبر على بعضها دون بعض، والمستقيم حقاً من ثبت على ذلك.

أما آية طه، فإن الأمر بالاصطبار خاص بالصلاة وهو لا يتطلب مجاهدة كتلك المجاهدة مع العبادات كلها مجتمعة.

١٩- قال تعالى: ﴿وَأَنَا أَخَّرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣)^(٣).

هذه الآية خطاب من الله لموسى - عليه السلام - كي يتحمل الأمانة ويبلغ الرسالة، وتعدية الفعل «استمع» باللام له دلالة في تقوية المعنى، وتدل كذلك على إثارة المسموع بالقبول والإصغاء له، واختصاصه بالاستجابة والانقياد له^(٤).

(١) ينظر: الكشف: ٥١٧/٢، تفسير أبي السعود: ٢٧٤/٥، روح المعاني: ١١٥/١٦-

١١٦، التحرير: والتنوير: ١٦/١٤٢-١٤٣.

(٢) القرن: الكفء في الشجاعة. القاموس «قرن» ٢٥٨/٤.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٦/١٧١، التحرير والتنوير: ١٦/١٩٩.

وقد قيل ^(١) : إن أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغيض البصر والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع لما يحبه الله تعالى ^(٢) .

٢٠- قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (١٩) ^(٣) .

الفعل «رضي» تعدى في القرآن بنفسه، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ ^(٤) ، وتعدى بـ«عن» كقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ^(٥) ، وتعدى بالباء، كقوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ ^(٦) ، وتعدى بـ«من» كقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً عَنْ رَاضٍ مِّنْكُمْ﴾ ^(٧) ^(٨) ، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ، تعدى فيه الفعل باللام، فما السر في الإتيان باللام في الآية؟

إن دخول اللام على الضمير تؤذن باختصاصه بهذا الأمر العظيم

(١) ينظر: روح المعاني: ١٦/١٧١.

(٢) وانظر في هذا الموضوع: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي، وتذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة الكنايني.

(٣) سورة طه، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٩١، سورة البينة، الآية: ٨.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٨٧.

(٧) سورة النساء، الآية: ٢٩.

(٨) ينظر: المفردات ١٩٧، معجم الأفعال المتعدية بحرف ١٢٩.

في ذلك الموقف العصيب، وهو ما يستدعيه مقام المأذون له بالشفاعة وحظوته عند ربه، حيث يسمع شفاعته، لا شفاعة غيره، ويستجيب له حين لا يستجيب لسواه، وهذا عنوان كرامة الشافع عند الله واختصاصه بهذا الشرف الرفيع، فقد رضي قوله لأجله، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (١)، فإن الله ما أذن للشافع بأن يشفع إلا وقد أراد قبول شفاعته (٢).

إن هذا السر البياني والنكته البلاغية فيما تحملته اللام من هذه المعاني، يفوت في كلام الفراء الذي جعل اللام في الآية بمعنى «من»، حيث قال: «رضي له قولاً، كقولك: رضي منه عمله. وقد يقول الرجل: قد رضيت لك عملك ورضيته منك» (٣).

٢١- قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (٤).

هذه الآية إنذار وتخويف لقرب موعد الجزاء والحساب، مما ينبغي له الاستعداد والتأهب، وأخذ الحيطة والحذر، لا الغفلة

(١) سورة الشرح، الآية: ١.

(٢) ينظر: الكشف ٥٥٤/٢، البحر المحيط: ٢٨٠/٦، روح المعاني: ٢٦٥/١٦، التحرير والتنوير ٩-٨/١٧.

(٣) معاني القرآن: ١٩٢/٢.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١.

والإعراض والنكوص على الأعقاب، وقد اجتمعت في الآية عدة أمور أكسبتها قوة في المعنى وزيادة في الإنذار والتخويف.

- فالفعل «قرب» و«اقترب» بمعنى واحد في الأصل، لكن زيادة التاء في الثاني أفادت زيادة في معناه، وهو القرب المتوقع نزوله على غرة أو بين عشية وضحاها^(١).

- مجيء لام الاختصاص في «للناس»، مما يؤكد إضافة الحساب إليهم، مما ينادي بمزيد من التخويف والمبالغة في التحذير، كما تقول: أزف رحيل الحي، فإذا أردت الاختصاص والمبالغة، قلت: أزف للحي رحيلهم^(٢).

- تقديم الجار والمجرور «للناس» على الفاعل، وفي ذلك مسارعة إلى إدخال الروعة عليهم، فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترب^(٣).

- إسناد الاقتراب للحساب، وهي استعارة تمثيلية، شبه حال إضلال الحساب لهم بحالة شخص يسعى ليقرب من ديار ناس، ففيه تشبيه هيئة الحساب المعقولة بهيئة محسوسة،

(١) ينظر الكشف ٥٦١/٢، روح المعاني ٣-٢/١٧، التحرير والتنوير ٩-٨/١٧.

(٢) ينظر: البحر المحيط: ٢٩٦/٦، التحرير والتنوير: ٩-٨/١٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٥٣/٦.



وهي هيئة المغير والمعجل في الإغارة على القوم، فهو يلج في السير تكلفاً للقرب من ديارهم، وهم غافلون عن طلب الحساب إياهم، كما يكون قوم غارين معرضين عن اقتراب العدو منهم^(١).

٢٢- قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْفَيْصَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾^(٢).

هذه الآية ونظائرها في المعنى، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾^(٥)، وغيرها. يستدل بها على أن اللام فيها بمعنى «في» في الظرفية، كما أنه قيل: إن اللام في الآيات السابقة للتعليل، أي: لأجل يوم القيامة والجزاء فيه. وقيل: بمعنى عند للتوقيت، كما يقال: كتبت لثلاث خلون من شهر كذا، أي: عند ثلاث. كما قيل: بأنها للاختصاص؛ إبقاءً على معناها الأصلي^(٦)، وهذا هو

(١) التحرير والتنوير: ١٧/٨-٩.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٩.

(٤) سورة التغابن، الآية: ٩.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

(٦) ينظر لهذه الأقوال: معاني القرآن للفراء: ١/٢٠٢، الكشاف ٢/٥٧٤، تفسير أبي

السعود ٦/٧١، روح المعاني: ١٧/٥٥، التحرير والتنوير: ١٧/٨٤.



الراجع عندي، فكل الآيات السابقة جاءت اللام فيها مؤكدة اختصاص اليوم بالجزاء، وما يستتبعه ذلك من الوعيد والتهديد بما ينتظر الكافرين من سوء الحساب، ولو جاءت «في» في الآيات السابقة بدل اللام، لفسد النظم واختل التركيب، وفقدت اللام وما يصحبها من تأكيد اختصاص ذلك اليوم بالحساب والجزاء، وما يثيره هذا الاختصاص من الرعب والفرع في نفوس المجرمين، ويجسد أمام أعينهم ما سينالونه ويجازون به. بخلاف «في» التي توحى بميعاد الجمع وزمانه فقط، دون المعاني الأخرى التي أضفتها لام الاختصاص على النظم القرآني. وقد أوضح الطبري هذا الفرق بين الحرفين، وكشف عن دلاليتهما في قوله: «فإن قال قائل: وكيف قيل: فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه، ولم يقل في يوم لا ريب فيه؟ قيل: لمخالفة معنى اللام في هذا الموضع معنى «في»؛ وذلك أنه لو كان مكان اللام «في»، لكان معنى الكلام: فكيف إذا جمعناهم في يوم القيامة ماذا يكون لهم من العذاب والعقاب؟ وليس ذلك المعنى في دخول اللام، ولكن معناه مع اللام، فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه، ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه، ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب. فمع اللام في (ليوم لا ريب فيه) نية فعل وخبر

مطلوب قد ترك ذكره أخيراً بدلالة دخول اللام في «اليوم» .. وليس ذلك مع «في»، فلذلك اختيرت اللام، فأدخلت في اليوم «دون في»^(١).

٢٣ - قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَيُّهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾^(٢).

جاءت تعدية العكوف في موضع آخر من القرآن بـ«على»، قال تعالى: ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾^(٣)، فما السبب في تباين تعدية الفعلين؟

الآية الأولى إنكار من إبراهيم - عليه السلام - على قومه الذين عكفوا على عبادة هذه التماثيل من دون الله، المستحق لأن يعبد وحده دون سواه، وفي الإتيان بالجملة الاسمية: «أنتم لها عاكفون» ما يدل على دوامهم على ذلك واستمرارهم عليه.

واختلفت أقوال المفسرين^(٤)، في هذه اللام، فقليل: إنها لام البيان، وقليل: إنها لام التعليل، وقليل: إنها بمعنى «على»، وقليل:

(١) جامع البيان «تفسير الطبري» ١٤٧/٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٣٨.

(٤) ينظر: البحر المحیط: ٣٢٠/٦، تفسير أبي السعود ٧٢/٦، روح المعاني: ٥٩/١٧،

التحرير والتنوير: ٩٥/١٧.

ضمن الفعل معنى العبادة؛ لدلالة ما بعدها ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا هَآءَ عِبْدِينَ ﴾ (٥٣) ، وقيل: إنها للاختصاص، وهذا هو الأرجح عندي، وأوثر في الآية دون «على»؛ للدلالة على أن قوم إبراهيم لم يكتفوا بعبادتها، بل جعلوا أنفسهم لها خاصة يدافعون عنها، ويزودون عن كرامتها وشرفها، فأخلصوا أنفسهم لحرب من يعاديها ويتناول عليها أو يسيء إليها، ويدل على ذلك أيضاً تعدية الفعل «عابدين» باللام، وتقديم الجار والمجرور، مما يدل على عظيم رغبتهم في عبادتها، وعدم الانفكاك عنها، وحرب من عاداها، كما يشهد لذلك موقفهم مع إبراهيم بعد ذلك.

أما آية الأعراف، فقد أريد وصف هؤلاء بانكبابهم على عبادتها ولزومها، دون قصد المعاني الأخرى الزائدة على معنى العكوف الذي أضفته اللام بدلالته على النظم القرآني.

٢٤- قال تعالى: ﴿ فَالْتَقِطْهُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (١).

للمفسرين (٢)، في اللام في قوله: «ليكون» قولان:

أحدهما: أنها لام العاقبة والمآل والسيورة، والمعنى: فالتقطه آل

(١) سورة القصص، الآية: ٨.

(٢) ينظر: تنزيه القرآن عن المطاعن ٣٠٨، الكشف ١٦٦/٣، البحر المحيط: ١٠٥/٧،

تفسير أبي السعود ٤/٧، روح المعاني: ٤٦/٢٠، التحرير والتنوير: ٧٥-٧٦.



فرعون فكان لهم عدواً وحزناً، وزال ملكهم وقوضت حكومتهم على يديه، ويرى العز بن عبدالسلام^(١)، أن الظاهر من تسمية هذا اللام بلام العاقبة أو الصيرورة، أن القائلين بها يخرجونها عن معنى الاختصاص الذي هو أصل معناها، ويرونها غير لام التعليل؛ لأن لام التعليل تدخل على ما هو غرض لفاعل الفعل، ويكون مترتباً على الفعل، وليس في لام الصيرورة إلا الترتيب فقط^(٢).

الثاني: أنها لام التعليل، كقولك: جئتكَ لتكرمني، ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريقة المجاز؛ لأنه لم يكن داعيهم إلى الالتقاط أن يكون لهم عدواً وحزناً، لكن المحبة والتبني، غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته، شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لأجله.

وقد أجرى ابن عاشور الاستعارة في الآية بقوله: «شبهت العاقبة بالعلة في كونها نتيجة للفعل، كشأن العلة غالباً، فاستعير لترتيب

(١) الفوائد في مشكل القرآن: ١٣٨.

(٢) ينظر: رصف المباني: ٣٠١، شرح التسهيل لابن مالك: ١٤٦/٣، الجني الداني: ١٦٠،

مغني اللبيب: ٢١٤/١.

العاقبة المشبهة الحرف الذي يدل على ترتب العلة، تبعاً لاستعارة معنى الحرف إلى معنى آخر استعارة تبعية، أي: استعير الحرف تبعاً لاستعارة معناه ..» ^(١) . وجعل الألوسي هذه الاستعارة تهكمية ^(٢) .

فإن الله قادر على كل شيء، أراد إذلال فرعون وزبانيته الذين ملؤوا الأرض جوراً وظلماً، سفكاً لدماء الأبرياء، وانتهاكاً لأعراض العفيفات، واستخداماً للأحرار، فالتقطوا هذا الطفل الرضيع، وكأنهم يعلمون أن نهايتهم المحتومة ستكون على يديه، وهذا إبراز لكمال قدرة الله تعالى ونفاذ أمره.

٢٥- قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ^(٣) .

هذه الآية تصوير لاستجابة إبراهيم وابنه إسماعيل - عليهما السلام - لأمر الله، وتنفيذ حكمه جل وعلا طواعية له، دون تلكؤ أو تردد، بل استسلام لأمر الله ورضى بقدره وأمره، وقد استدل بهذه الآية من يرى أن اللام تأتي بمعنى «على»، أي: تله على جبينه ^(٤) ، والأقرب أنها لام الاختصاص والاتصال، فقد صرع شقه على الأرض، بحيث يباشر جبينه الأرض من شدة الاتصال

(١) التحرير والتنوير: ٧٥-٧٦.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٤٦/٢٠.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٣.

(٤) ينظر: الجنى الداني: ١٤٧، مغني اللبيب: ٢١٢/١، الإتيان: ٥٤١/١.



بصبر وجلد؛ ليرضيا الله، ويخزيا الشيطان؛ امتثالاً لأمر الله ورضى بقضائه وقدره ^(١).

٢٦- قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ ^(٢).

يستدل بهذه الآية من ^(٣) يرى مجيء اللام بمعنى «عن» في «للذين آمنوا»، أي: عن الذين آمنوا، وقد ذهب بعضهم إلى أن اللام في الآية للتعليل متعلقة بمحذوف حال من الذين كفروا، تقديره: مخصصين أو مریدين، كاللام في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّمُ وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^(٤). وقيل: إنها لام التبليغ لتعدية فعل القول إلى المخاطب.

والصحيح أنها لام الاختصاص، كما ذهب إلى ذلك آخرون ^(٥). واختيار التعدية باللام دون «عن» مع صحتها، له دلالة على بلاغة النظم القرآني بما يتلاءم والغرض الذي يهدف إليه، فرد المشركين

(١) ينظر: الكشاف: ٣/٣٤٨، تفسير أبي السعود: ٧/٢٠١، التحرير والتنوير: ٢٣/١٥٣.

(٢) سورة الأحقاف، الآية: ١١.

(٣) ينظر: الجنى الداني: ١٤٦، مغني اللبيب: ١/٢١٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٦.

(٥) ينظر لهذه الأقوال: الكشاف ٣/٥١٩، البحر المحيط: ٨/٥٩، تفسير أبي السعود:

٨/٨١، روح المعاني ٢٦/١٤، التحرير والتنوير: ٢٦/٢٢.

في هذه الآية يحمل معاني الاستخفاف بالمسلمين، والتحقير من شأنهم، فكان من صلفهم وكبريائهم أن ترفعوا عن خطاب المؤمنين، فعدلوا إلى أسلوب الغيبة؛ صوناً لأنفسهم عن مواجهة من هم دونهم على زعمهم، وهو ضرب من الالتفات جاء في القرآن الكريم؛ لإبراز صورة التعالي والغطرسة ونظرة الاستخفاف التي كان يرمق بها المشركون ضعفاء المسلمين، ولو لم يكن هناك الالتفات، لقليل: لو كان خيراً ما سبقتمونا إليه.

والإتيان باللام للدلالة على الحوار بينهم وبين المسلمين، وهي تحمل كذلك اختصاص خطابهم لمن وجه إليه من المؤمنين، ولو كان الأسلوب: وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا، لكان حديثاً عن الذين آمنوا، لا حواراً بينهم، وهو المقصود إبرازه في الآية ^(١).

٢٧- قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ^(٢).

في هذه الآية نهي للصحابة - رضي الله عنهم - أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي، كما هو المعتاد في مخاطبة الأقران والنظر، فوجب كون أصواتهم دون صوته ﷺ بخفضها ولينها،

(١) ينظر: روح المعاني: ١٤/٢٦، التحرير والتنوير: ٢٢/٢٦.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.



مراعين جلال النبوة ورفع قدرها، ومن هنا قال أبو بكر - رضي الله عنه: «والذي أنزل عليك الكتاب يا رسول الله، لا أكلمك إلا كأخي السرار حتى ألقى الله تعالى»^(١).

وقد عدي الفعل «ولا تجهروا» باللام «له»، معلماً الصحابة أدب الحديث مع رسول الله ﷺ، مع الشهادة لهم بأن ما حدث منهم من رفع الصوت والجهر به لم يقصدوا به إيذاء الرسول ﷺ أو الاستعلاء عليه، وهذا المعنى يفوت عندما نقول: إن اللام بمعنى «على»^(٢)، أي: ولا تجهروا عليه؛ إذ تفيد الاستعلاء على الرسول ﷺ والترفع عليه، وهذا ما لا يليق بحضرته ولم يكن ليصدر منهم، والأمر كما قال أبو حيان: «ولم يكن الرفع والجهر إلا ما كان في طباعهم، لا أنه مقصود بذلك الاستخفاف والاستعلاء؛ لأنه كان يكون فعلهم ذلك كفراً، والمخاطبون مؤمنون»^(٣). ويدل لهذا أن الآية صدرت بـ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فلم تنف عنهم الإيمان أو تطعن فيه، وفي آخر الآية: (وأنتم لا تشعرون)، مبينة أن ذلك لم يكن عن قصد وتعمد^(٤).

(١) ينظر: البحر المحيط: ١٠٦/٨، روح المعاني: ١٣٥/٢٦.

(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٦٩.

(٣) البحر المحيط: ١٠٦/٨.

(٤) ينظر: روح المعاني: ١٣٥/٢٦، التحرير والتنوير: ٢٢١/٢٦.

٢٨- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلِّمْ لَهُ ۖ﴾ (١)
 أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿١١﴾ ﴿١﴾

هاتان الآيتان بيان لحال الصنف الثاني من الأصناف الثلاثة المذكورة في هذا المقطع: المقربون، أصحاب اليمين، المكذبون الضالون وذلك عند القيامة الصغرى، والقدوم على الله تعالى.

وتعدية «السلام» باللام للتنويه بهم وعلو مرتبتهم، وخلصهم من المكدرات والشواغل، فاللام لها دلالتها الدقيقة في ذلك؛ لتذهب نفس السامع في ذلك كل مذهب (٢).

وفي موضع آخر عدي «السلام» بـ«على» فيما يشبه هذه الحال، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٣)، وقد كشف ابن القيم سر المغايرة في هذه التعدية، فقال: «فاعلم أن لفظ: سلمت عليه، وصليت عليه، موضوعها ألفاظ هي جمل طلبية، وليس موضوعها معاني مفردة، فقولك: سلمت، موضوعه: قلت: السلام عليك وإذا ثبت هذا، فقولك: سلمت عليه، أي: ألقيت عليه هذا اللفظ وأوضعت عليه، إيذاناً باشتغال معناه عليه، كاشتغال لباسه عليه، وكان حرف «على» أليق الحروف به فتأمله.

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ٩٠، ٩١.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود: ٢٠٢/٨، التحرير والتنوير: ٣٤٨/٢٧.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧٣.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ۖ فَسَلِّمْ لَهُ ۖ﴾ (٩٠) ﴿فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ۖ﴾ (٩١)، فليس هذا سلام تحية، ولو كان تحية لقال: فسلام عليه، كما قال: ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۖ﴾ (١١٩) ^(١)، ﴿سَلِّمْ عَلَىٰ نُوحٍ ۖ﴾ ^(٢)، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله، فذكر أنهم ثلاثة أقسام: مقرب له الروح والريحان وجنة النعيم، ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة، فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنمة والفوز، وإن كان كل منهما سالماً غانماً، وظالم بتكذيبه وضلاله، فأوعده بنزل من حميم وتصلية جحيم، فلما لم يك المقام مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلام ^(٣).

فالكلام إنما هو إخبار من جهته تعالى بحصول السلامة لهم، لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض، وإلا ل قيل: فسلام عليك.

٢٩- قال تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَآنَىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۚ﴾ (٢٤) ^(٤).

استدل بقوله تعالى: ﴿قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۚ﴾ من يرى أن اللام بمعنى «في» ^(٥)، كما قيل: بأنها لام التعليل، أي: يا ليتني قدمت الأعمال

(١) سورة الصافات، الآية: ١٠٩.

(٢) سورة الصافات، الآية: ٧٩.

(٣) بدائع الفوائد: ١٤٦/٢.

(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٥) ينظر: الجنى الداني: ١٤٥، مغني اللبيب: ٢١٣/١، الإتيان: ٥٤١/١.



الصالحة لأجل أن أحيا في هذه الدار الآخرة الباقية، الحياة الكاملة السالمة من العذاب، قال ذلك لأنه لا يموت ولا يحيا^(١)، والآية تعبر عن حال المفرط الكافر، وتعطي بجلاء صورة دقيقة عما امتلأت به نفسه من الحسرة والندم على ما فرط في دنياه، وتحصيل العمل الصالح لهذه الحياة الأبدية. وقد جاءت اللام الدالة على الاختصاص؛ لتكشف بحق عن حال تلك النفس المخطئة المفعمة بكل معاني الأسى والحزن، ولات حين مندم في ذلك اليوم، يوم الحساب والجزاء^(٢). ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٣).

٣٠- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنَادِي تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾^(٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا^(٥).

تباينت أقوال المفسرين في معنى اللام في قوله: «أوحى لها»، فقيل: هي بمعنى «إلى» حيث تعدى الفعل «أوحى» في مواضعه في القرآن بـ«إلى» عدا هذا الموضع^(٥)، وقيل: اللام للتعليل، أي: أوحى

(١) ينظر: روح المعاني: ٤٦١/٣٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٣٩/٣٠.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٦.

(٤) سورة الزلزلة، الآيتان: ٤، ٥.

(٥) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١٢٩٩/٢، الكشاف: ٢٧٦/٤، تفسير أبي السعود:



من أجلها من حيث الأفعال فيها ^(١) ، وقيل: ضمن «أوحى» معنى «قال»، كقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ ^(٢) ، والقول المضمن هو قول التكوين، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ^(٣) ، وإنما عدل عن فعل «قال» إلى فعل «أوحى»؛ لأنه حكاية عن التكوين، لا عن قول لفظي ^(٤) .

ولعل الأقرب في الآية أنها لام الاختصاص، وإنما أوتر تعدية الفعل بها دون التعدية بـ«إلى»؛ لأمرين:

أحدهما: مراعاة فواصل الآيات، وهذا لون من ألوان الجمال اللفظي المؤثر، الذي يأخذ بالأذان والقلوب، وهو كثير في القرآن الكريم ^(٥) .

الثاني: أن الوحي في الآية وحي تسخير، واللام تعين على تحقيق هذا الغرض. وهو أمر خاص للأرض؛ ليكون ما هو من دلائل قدرة الله، ونفوذ أمره في كل شيء ^(٦) .



(١) ينظر: البحر المحيط: ٥٠١/٨.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١١.

(٣) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٤٩٣/٣٠.

(٥) ينظر: البحر المحيط: ٥٠١/٨.

(٦) ينظر: المفردات: ٥١٥-٥١٦.



الخاتمة

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلاماً على رسوله المصطفى ونبيه
المجتبى. وبعد:

فإن العيش مع كتاب الله عز وجل، وبذل الجهد في خدمته،
نعمة من الله تبارك وتعالى يمتن به على من يشاء من عباده، ولعلي
أكون ممن حظي بهذا الشرف العظيم والمنزلة العالية في هذا
الجهد المتواضع الذي ظهر لي بعده هذه الثمار اليانعة والنتائج
الحميدة:

- بانّت لي بعض الفروق وأسبابها بين الآيات المتشابهة، وما
أضفاه كل حرف من بديع الأسلوب، ودقة المعنى، ولطيف
الكلم في هذه الآيات.

- هذه الدراسة الموجزة ضمن سلسلة بيان إعجاز القرآن من
حيث لفظة وبلاغته، فهو أفصح الكلام وأبلغه؛ لأنه كلام
رب العالمين القائل فيه ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

- وجوب العناية بالكلمة بجميع أجزائها، فقد وقفنا سوياً على
فوارق دقيقة في دلالات بعض الحروف، بحيث لو جعل حرف
آخر يشبهه مكانه، لم يكن وفاءه بالمعنى، وإحكام دقته
كحاله.

- مثل هذه الدراسات لفهم كلام الله عز وجل، والوقوف على أسرارهِ ونِكَاتهِ البلاغية ولطائفهِ البَيانية، لا يكفي من أجلها تعلم النحو فقط وحفظ قواعده، بل لا بد مع ذلك من إبحار في معاني الكلام، وفهم عميق لدلالات الحروف وأسرارها البلاغية في النظم القرآني.

- من أجل تكامل مثل هذه الدراسات، لا بد من الاطلاع على كلام العلماء المتقدمين والمتأخرين، والإفادة مما قالوه في بلاغة هذه الآيات، وما أبرزوه من دلالات هذه الحروف وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم.

- تبين من خلال هذه الدراسة أن أشهر من تكلم في هذا المجال من المتقدمين: الزمخشري في كتابه: «الكشاف»، ثم أبو جعفر بن الزبير الثقفي في كتابه «ملاك التأويل». والرازي في التفسير الكبير ومن المتأخرين: ابن عاشور في تفسيره «التحرير والتنوير» الذي يعد مفخرة زمانه، فله فيه من اللفات البلاغية والأسرار البَيانية، وإظهار إعجاز كلام الله عز وجل ما ليس لغيره.

- إن مثل هذه الدراسات رد على من يزعمون اختلال النظم القرآني، لتنوع أساليبه، واختلال نصوصه، مع أن موردها واحد وفكرتها واحدة، فلم هذا التباين، والحق أن كل



حرف له دلالة ومعناه، ولا يفي بالغرض الذي سيق من أجله
سواه، وصدق ربنا القائل: ﴿ أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ (٨٢).

وبعد هذا الجهد المتواضع، أحمد الله على التيسير والتسهيل
 وإكمال ما رمته وقصدته من خدمة كتاب ربنا عز وجل، ولكم
تمنيت أن تكون الدراسة أوسع من هذه، لكن هذا ما تيسر
تسطيره.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





ثبت المصادر والمراجع

- الإتيقان في علوم القرآن، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تقديم وتعليق مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- ائتلاف النصر، لعبد اللطيف الزبيدي، تحقيق طارق الجنابي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ / ١٩٧٦م.
- الإحكام في أصول الأحكام، لعلي بن محمد الآمدي، تحقيق سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٧م.
- ارتشاف الضرب، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق مصطفى النماس، مطبعة النسر الذهبي، مصر الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية لبنان.
- أسرار العربية، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى بدمشق: ١٣٧٧هـ، ١٩٥٧م.

- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعر بن عبدالسلام، المطبعة العامرة، ١٤١٣هـ.
- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، الطبعة الخامسة.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، الطبعة السادسة، ١٩٨٤م.
- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لعبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبدالمجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.
- الأمالي الشجرية لأبي السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات عبدالرحمن بن



محمد الأنباري، بعناية محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي.

- الإيضاح العضدي، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق حسن فرهود، دار العلوم، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م.

- الإيضاح في علل النحو؛ لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق مازن المبارك، دار النفائس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ.

- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة أنس بن مالك، ١٤٠٠هـ.

- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد الزركشي، دار المعرفة، لبنان.

- البيان في غريب إعراب القرآن، لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: طه عبدالحميد طه، مراجعة،

- مصطفى السقا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- تاريخ بغداد - أحمد بن علي الخطيب البغدادي - دار الكتاب العربي - بيروت.
- تأويل مشكل القرآن، لعبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - شرحه وفسره أحمد صقر - المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - الطبعة الثالثة: ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٤م.
- تفسير أبي السعود - لأبي السعود محمد بن محمد العمادي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير البيان للطوسي، تحقيق أحمد بن حبيب العاملي، مطبعة النعمان، النجف ١٣٨٥هـ / ١٩٦٦م.
- تفسير الخازن «الباب التأويل»، علي بن محمد الشهير بالخازن، مطبعة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية: ١٣٧٥هـ.
- التفسير الكبير، محمد بن عمر الشهير بالفخر الرازي، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية.
- تفسير المنار «القرآن العظيم»، محمد رشيد رضا، دار الفكر، الطبعة الثانية.

- تهذيب الأسماء واللغات، محيي الدين زكريا بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تهذيب التهذيب، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى: ١٣٢٥هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، دار الفكر، بيروت.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، لبنان الطبعة الرابعة: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، الطبعة الثانية: ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، دار الفكر، بيروت.
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف: ١٤٠٣هـ.
- الجنى الداني في حروف المعاني: للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب: ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب، لعلاء الدين بن علي الأربلي، مكتبة النهضة المصرية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين عبدالقادر بن محمد بن أبي الوفاء القرشي الحنفي، تحقيق عبدالفتاح الحلو، مصور عن مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، دار العلوم، الرياض: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- حروف المعاني، عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي، تحقيق علي الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- الخزانة «خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب»، لعبدالقادر البغدادي، دار الباز، مكة المكرمة، دار صادر، بيروت.
- الخصائص، لأبي الفاتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبدالخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الجيل، بيروت.

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأحمد بن يوسف الحلبي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي، دار الآفاق الحديثة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٩٧٧م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية.
- ديوان العباس بن مرداس، جمعه يحيى الجبوري، دار الجمهورية، بغداد: ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- الرسالة، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق أحمد شاكر، دار التراث بالقاهرة، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبدالنور المالقي، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.



- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبدالحى بن العماد بن الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- شرح الألفية لابن الناظم، لأبي عبدالله بدر الدين بن مالك، تحقيق عبدالحميد عبدالحميد، دار الجيل، بيروت.
- شرح التسهيل، لجمال الدين عبدالله بن مالك الأندلسي، تحقيق عبدالرحمن السيد، ومحمد المختون، هجر، القاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهرى، دار الفكر، بيروت.
- شرح الجمل، لابن عصفور علي بن عبدالمؤمن، تحقيق صاحب أبو جناح، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- شرح الكافية الشافية، لجمال الدين عبدالله بن مالك الأندلسي، تحقيق عبدالمنعم هريدي، دار المأمون، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- شرح المفصل لموفق الدين يعيش بن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبى، القاهرة.



- الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربي، سليمان بن عبد القوي الطوفي، تحقيق الدكتور محمد الفاضل، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن علي السبكي، تحقيق محمود الطناحي، وعبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد الجزري، بعناية، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- فصول في فقه اللغة، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.
- فضل العربية، لمحمد بن رسلان، دار العلوم الإسلامية: ١٤٠٩م.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والسلسلات لعبد الحی بن عبد الکبیر الکتانی، بعناية إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- الفوائد في مشكل القرآن، للعز بن عبد السلام، تحقيق سيد رضوان، وزارة الأوقاف بالكويت: ١٣٨٧هـ.



- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي،
دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق وشرح
عبدالسلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل،
لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن
عبدالله القسطيني - المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة.
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين عبدالرحمن بن
أبي بكر السيوطي - دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة
الثانية: ١٩٧٩م.
- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
الإفريقي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، دار صادر،
بيروت.
- اللامات؛ لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي،
تحقيق مازن المبارك، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،
المطبعة الهاشمية بدمشق: ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق محمد فؤاد



سزكين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، عناية ابن قاسم الحنبلي، مكتبة ابن تيمية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، توزيع مكتبة ابن تيمية القاهرة.
- مدارج السالكين، محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم، بعناية حامد الفقي، دار الفكر العربي.
- المسائل العسكرية، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، تحقيق محمد أحمد مطبعة المدني، مصر الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م.
- المساعد على تسهيل الفوائد، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق محمد بركات، دار الكفر، بيروت: ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- معاني الحروف؛ لأبي الحسن علي بن عيسى الرمانى، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- معاني القرآن، لأبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق فائز فارس، دار البشير ودار الأمل، الطبعة الثانية: ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم الأفعال المتعدية بحرف، لموسى بن محمد الملياني الأحمدى، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٧٩م.
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبدالله بن هشام الأنصاري - عناية محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مفتاح العلوم، لأبي يعقوب بن محمد السكاكي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة، الطبعة الأولى.
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني،



- مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ.
- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية.
- المقتضب؛ لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- مقدمة تفسير ابن النقيب، لأبي عبد الله محمد بن سليمان المشهور بابن النقيب، تحقيق زكريا سعيد علي، نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.
- ملاك التأويل لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت: ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن محمد الزرقاني، دار الفكر: ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- من أسرار حروف الجر، محمد الخضري، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد

المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت:
١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية، لجلال الدين
عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي - تصحيح محمد بدر
الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت.

- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي،
بعناية مس ديدرिंग، دار النشر فرانز شتايز، جمعية
المستشرقين الألمانية، الطبعة الثانية: ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأحمد بن خلكان، حققه
إحسان عباس، دار إحياء التراث العربي، دار صادر، بيروت.

